المبحث الأول

(خلق الله آدم على صورته)

وفيه أربعة مطالب:

- **المطلب الأول: سياق الحديث المتوهم إشكاله وبيان وجه الإشكال.**
- **المطلب الثاني: أقوال أهل العلم في هذا الإشكال.**
- **المطلب الثالث: الترجيح.**
- **المطلب الرابع: في بيان معنى قوله ﷺ: (فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون).**

المطلب الأول

سياق الحديث المتوهم إشكاله وبيان وجه الإشكال

- عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً، فلما خلقه قال: اذهب فسلم على أولئك ـ نفر من الملائكة جلوس ـ فاستمع ما يُحَيُّوْنَكَ فإنها تحيتك وتحية ذريتك، فقال: السلام عليكم، فقالوا: السلام عليك ورحمة الله، فزادوه: ورحمة الله، فكل من يدخل الجنة على صورة آدم، فلم يزل الخلق ينقص بعد حتى الآن)** متفق عليه[(١)].

- وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **(إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته)** رواه مسلم[(٢)].

بيان وجه الإشكال

استشكل بعض أهل العلم قوله ﷺ: **(خلق الله آدم على صورته)**، حيث فهموا أن القول: بإعادة الضمير على الله تعالى في هذا الحديث، يلزم منه التشبيه ـ تشبيه صورة آدم بصورة الله تعالى ـ ولذلك اختلفوا في متعلق الضمير على أقوال يأتي بيانها قريباً إن شاء الله تعالى.

---

(١) البخاري: كتاب الاستئذان، باب: بدء السلام (٥/ ٢٢٩٩) ح(٥٨٧٣)، ومسلم: كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: يدخل الجنة أقوام أفئدتهم مثل أفئدة الطير (١٧/ ١٨٤) ح(٢٨٤١).

(٢) صحيح مسلم: كتاب البر والصله، باب: النهي عن ضرب الوجه (١٦/ ٤٠٤)، (٢٦١٢).

المطلب الثاني

أقوال أهل العلم في هذا الإشكال

اختلف أهل العلم ـ رحمهم الله تعالى ـ في هذا الحديث وما في معناه، وعلى أي شيء يعود الضمير في قوله ﷺ: **(خلق الله آدم على صورته)**، وجملة الخلاف يعود إلى أربعة أقوال هي كالتالي:

القول الأول: أن الضمير في قوله: (على صورته) عائد على غير الله تعالى:

ففي حديث: **(إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته)** يعود إلى المضروب.

قال الحافظ ابن حجر: «واختلف في الضمير على من يعود؟ فالأكثر على أنه يعود على المضروب لما تقدم من الأمر بإكرام وجهه، ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها»[(١)].

ولعل مراد الحافظ رحمه الله تعالى بقوله «فالأكثر...» أي: أكثر أهل التأويل كابن حبان والبيهقي[(٢)] والقاضي عياض[(٣)]

---

(١) الفتح (٥/ ١٨٣)، وانظر: وشرح النووي على مسلم (١٦/ ٤٠٣).

(٢) انظر: الأسماء والصفات (٢/ ٦٣). والبيهقي هو: الإمام الحافظ العلامة أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي الشافعي صاحب التصانيف، لزم الحاكم مدة فأخذ عنه وعن غيره، كتب الحديث وحفظه في صباه، وتفقه وبرع، وارتحل إلى العراق والجبال والحجاز، توفي رحمه الله سنة (٤٥٨هـ)، وله مصنفات عديدة منها: شعب الإيمان وكتاب الأسماء والصفات وكتاب البعث والنشور.
[انظر: وفيات الأعيان (١/ ٩٦)، وتذكرة الحفاظ (٣/ ١١٣٢)، والعبر (٢/ ٣٠٨)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٠٤)].

(٣) انظر: إكمال المعلم (٨/ ٩٠ ـ ٩١)، والقاضي عياض هو: عياض بن موسى بن=

والقرطبي[١] وغيرهم.

قال ابن حبان رحمه الله تعليقاً على حديث: **(إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته)**: «يريد صورة المضروب؛ لأن الضارب إذا ضرب وجه أخيه المسلم ضرب وجهاً خلق الله آدم على صورته»[٢].

أَمَّا أَهْلُ السُّنَّةِ فَلَا يُعْرَفُ هٰذا القَوْل عَن أَحَدٍ مِنْهُمْ سِوى ابن خزيمة وابن منده[٣] عليهما رحمة الله.

قال ابن خزيمة: «توهم بعض من لم يتحر العلم أن قوله: **(على صورته)** يريد صورة الرحمن عز ربنا وجل عن أن يكون هذا معنى الخبر، بل معنى قوله: **(خلق آدم على صورته)**: الهاء في هذا الموضع كناية عن

= عياض بن عمرو بن موسى اليحصبي الأندلسي، الإمام العلامة الحافظ كان من أهل العلم والتفنن والذكاء والفهم، تولى القضاء فترة طويلة حمدت سيرته فيها، توفي سنة (٥٤٤هـ) وله من المصنفات: إكمال المعلم بفوائد مسلم، ومشارق الأنوار في تفسير غريب الحديث، وغيرهما.
[انظر: وفيات الأعيان (٣/ ٤٢٤)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٠٤)، وسير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢١٢)].

(١) انظر: المفهم (٦/ ٥٩٧). والقرطبي هو: العلامة المحدث أبو العباس أحمد بن عمر بن إبراهيم الأنصاري القرطبي المالكي، كان من كبار الأئمة، توفي رحمه الله بالاسكندرية سنة (٦٥٦هـ) له مؤلفات من أشهرها: المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم.
[انظر: تذكرة الحفاظ (٤/ ١٤٤٨)، والعبر (٣/ ٢٧٨)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٧٣)].

(٢) صحيح ابن حبان (١٢/ ٤٢٠ ـ ٤٢١).

(٣) انظر: التوحيد (١/ ٢٢٣ ـ ٢٢٤). وابن منده هو: الحافظ الجوَّال محدث العصر أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى بن منده الأصبهاني، صاحب التصانيف طوَّاف الدنيا، سمع من ألف وسبعمائة شيخ، توفي رحمه الله سنة (٣٩٥هـ) له مؤلفات عديدة منها: كتاب التوحيد، والرد على الجهمية وغيرها.
[انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ١٠٣١)، والعبر (٢/ ١٨٧)، وشذرات الذهب (٣/ ١٤٦)].

اسم المضروب والمشتوم، أراد ﷺ: أن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب الذي أُمر الضارب باجتناب وجهه بالضرب، والذي قبح وجهه، فزجر ﷺ أن يقول: **(ووجه من أشبه وجهك)**[١]؛ لأن وجه آدم شبيه وجوه بنيه، فإذا قال الشاتم لبعض بني آدم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، كان مقبحاً وجه آدم صلوات الله عليه وسلامه الذي وجوه بنيه شبيهة بوجه أبيهم، فتفهموا ـ رحمكم الله ـ معنى الخبر: ولا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلوا عن سواء السبيل، وتحملوا على القول: بالتشبيه الذي هو ضلال»[٢].

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

١ ـ التعليل في قوله ﷺ: **(إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته)** رواه مسلم[٣]. فقوله: **(فإن الله خلق آدم على صورته)** بيان لسبب النهي عن ضرب الوجه، وهو أن آدم عليه السلام خُلِقَ على صورة المضروب، ولذلك عنون ابن حبان على هذا الحديث بقوله: «ذكر العلة التي من أجلها زُجر عن هذا الفعل»[٤].

وقال البيهقي: «وإنما أراد ـ والله أعلم ـ فإن الله خلق آدم على صورة هذا المضروب»[٥].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «ولولا أن المراد التعليل بذلك لم يكن لهذه الجملة ارتباط بما قبلها»[٦].

٢ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: **(إذا ضرب أحدكم**

---

(١) سيأتي تخريجه قريبا.
(٢) التوحيد (١/ ٨٤).
(٣) تقدم تخريجه ص (١١٤).
(٤) صحيح ابن حبان (١٢/ ٤١٩).
(٥) الأسماء والصفات (٢/ ٦٣).
(٦) الفتح (٥/ ١٨٣)، وانظر: شرح النووي على مسلم (١٦/ ٤٠٣).

فليجتنب الوجه، ولا يقل: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله ﷻ خلق آدم على صورته)[١].

قال الحافظ رحمه الله تعليقاً على هذا الحديث: «وهو ظاهر في عود الضمير على المقول له ذلك»[٢].

وتقدم استدلال ابن خزيمة رحمه الله بهذا الحديث.

٣ ـ أن حمل الحديث على ظاهره يقتضي التشبيه.

قال ابن خزيمة رحمه الله تعالى عن هذه الأحاديث: «تأولها بعض من لم يتحر العلم على غير تأويلها، ففتن عَالَماً من أهل الجهل والغباوة حملهم الجهل ـ بمعنى: الخبر ـ على القول: بالتشبيه، جل وعلا عن أن يكون وجه خلق من خلقه مثل وجهه، الذي وصفه الله بالجلال والإكرام ونفى الهلاك عنه»[٣].

وتقدم قوله رحمه الله: «فتفهموا ـ رحمكم الله ـ معنى الخبر، ولا تغلطوا ولا تغالطوا فتضلوا عن سواء السبيل، وتحملوا على القول: بالتشبيه الذي هو ضلال»[٤].

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده في موضعين (١٢/ ٣٨٢) ح(٧٤٢٠)، و(١٥/ ٣٧١) ح(٩٦٠٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٣٠) ح(٥٢٠)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٨٢) ح(٣٧)، والدارقطني في الصفات (٥٦) ح(٤٦)، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٣/ ٤٧٠) ح(٧١٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٦٣) ح(٦٣٩)، وصحح إسناده أحمد شاكر في تعليقه على المسند (١٣/ ١٥٢)، وقال الألباني في ظلال الجنة (١/ ٢٣٠): «إسناده حسن صحيح».
وأخرجه ـ بدون قوله: (إذا ضرب أحدكم الوجه) ـ: الحميدي في مسنده (٢/ ٤٧٦) ح(١١٢٠)، والبخاري في الأدب المفرد (٧١) ح(١٧٣)، وابن مندة في التوحيد (١/ ٢٢٣) ح(٨٤)، وقال: «هذا إسناد مشهور متصل صحيح، وابن عجلان أخرج عنه مسلم والنسائي والجماعة إلا البخاري».

(٢) الفتح (٥/ ١٨٣).

(٣) التوحيد (١/ ٨١).

(٤) التوحيد (١/ ٨٥).

وأما حديث: (خلق الله آدم على صورته طوله ستون ذراعاً...)، متفق عليه[١].

فقد جعلوا الضمير فيه عائداً إلى آدم عليه السلام[٢]، كما قال به أبو ثور[٣] وابن خزيمة والخطابي[٤] وأبو الشيخ الأصبهاني[٥] وابن مندة[٦] والبيهقي، ـ فقد نقل قول الخطابي وأقره عليه[٧] ـ والقاضي عياض[٨] والقرطبي[٩]، واحتمله ابن حجر[١٠] وعزاه ابن قتيبة إلى أهل

---

(١) تقدم تخريجه ص (١١٤).

(٢) انظر: المعلم للمازري (٣/ ١٧١)، وشرح النووي على مسلم (١٦/ ٤٠٣)، وفتح الباري (١١/ ٣).

(٣) هو إبراهيم بن خالد بن أبي اليمان الكلبي البغدادي، صاحب الإمام الشافعي، وناقل الأقوال القديمة عنه، وكان أحد الفقهاء الأعلام، والثقات المأمونين في الدين، له مصنفات جمع فيها بين الحديث والفقه، وكان أول اشتغاله بمذهب أهل الرأي، حتى قدم الشافعي العراق فاختلف إليه ورجع عن الرأي إلى الحديث، توفي رحمه الله سنة ست وأربعين ومائتين (٢٤٦هـ).
[انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٦٣)، ووفيات الأعيان (١/ ٥٣)، والسير (١٢/ ٧٢)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥١٢)، والعبر (١/ ٣٣٩)، وشذرات الذهب (٢/ ٩٣)].

(٤) هو الإمام العلامة الحافظ اللغوي أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي، صاحب التصانيف، كان يُشبه في عصره بأبي عبيد القاسم بن سلام علماً وأدباً وزهداً وورعاً وتدريساً وتأليفاً، توفي رحمه الله سنة (٣٨٨هـ) له تصانيف عديدة منها: معالم السنن، وغريب الحديث، وأعلام الحديث في شرح صحيح البخاري.
[انظر: وفيات الأعيان (٢/ ١٨٤)، وتذكرة الحفاظ (٣/ ١٠١٨)، والسير (١٧/ ٢٣)].

(٥) انظر: بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٣٩٦).

(٦) انظر: كتاب التوحيد له (١/ ٢٢٣).

(٧) انظر: الأسماء والصفات (٢/ ٦١).

(٨) انظر: إكمال المعلم (٨/ ٣٧٤).

(٩) انظر: المفهم (٧/ ١٨٣).

(١٠) انظر: الفتح (٥/ ١٨٣).

الكلام[١]، وهو كما قال[٢]، فإن هذا القول لا يعرف لأحد من أهل السنة غير أبي ثور وابن خزيمة وأبي الشيخ وابن منده عليهم رحمة الله.

قال أبو ثور رحمه الله: «إنما هو على صورة آدم ليس هو على صورة الرحمن»[٣].

وقال ابن خزيمة رحمه الله: «فصورة آدم ستون ذراعاً التي أخبر النبي ﷺ أن آدم عليه السلام خلق عليها، لا على ما توهم بعض من لم يتحر العلم، فظن أن قوله: **(على صورته)**: صورة الرحمن، صفة من صفات ذاته جل وعلا عن أن يوصف بالموتان والأبشار[٤]، قد نزه الله نفسه وقدس عن صفات المخلوقين، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»[٥].

وقال الخطابي رحمه الله: «قوله: **(خلق الله آدم على صورته)**، الهاء: وقعت كناية بين اسمين ظاهرين، فلم يصلح أن تصرف إلى الله ﷻ لقيام الدليل على أنه ليس بذي صورة سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ﴾، فكان مرجعها إلى آدم، والمعنى: أن ذرية آدم إنما خلقوا أطواراً، كانوا في مبدأ الخلقة نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم صاروا صوراً أجنة إلى أن تتم مدة

---

(١) انظر: تأويل مختلف الحديث (٢٠٤).

(٢) انظر مثلاً: أساس التقديس في علم الكلام للرازي (٧١) فقد عقد فصلاً في تأويل حديث الصورة ذكر فيه أن عود الضمير له ثلاث احتمالات، الثاني منها قال: «أن يكون الضمير عائداً إلى آدم عليه السلام، وهذا أولى الوجوه الثلاثة».

(٣) طبقات الحنابلة (٢/ ٨٩ ـ ٩٠)، وانظر: (٢/ ٣٣٦).

(٤) الموتان: ضد الحيوان، وهو كل شيء غير ذي روح. انظر: تهذيب اللغة (١٤/ ٢٤٤) مادة: (موت)، والأبشار: جمع بشر. انظر: لسان العرب (٤/ ٦٠) مادة (بشر)، وقد ذكر المحقق (١/ ٩) هامش (٦) أن في بعض النسخ: «بالذرعان والأشبار» بدلاً من: «الموتان والأبشار»، ولعل هذا هو الصواب، حيث إن شيخ الإسلام ابن تيمية قد نقل هذا الكلام من كتاب ابن خزيمة فذكره بهذا اللفظ. انظر: ص (١٤٧) من هذا البحث ففيه نقل كلامه.

(٥) التوحيد (١/ ٩٤).

الحمل، فيولدون أطفالاً، وينشؤون صغاراً إلى أن يكبروا فيتم طول أجسامهم، يقول: إن آدم لم يكن خلقه على هذه الصفة، لكنه أول ما تناولته الخلقة وجد خلقاً تاماً طوله ستون ذراعاً»[(١)].

واستدل أصحاب هذا التأويل بما يلي:

١ ـ حديث: **(خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً...)**.

قال القاضي عياض: «قوله هنا: **(طوله ستون ذراعاً)** يبين الإشكال ويزيح التشابه ويوضح أن الضمير راجع إلى آدم نفسه»[(٢)].

وقال الحافظ ابن حجر بعد ذكره لهذا الحديث: «وهذه الرواية تؤيد قول من قال: إن الضمير لآدم، والمعنى: أن الله تعالى أوجده على الهيئة التي خلقه عليها لم ينتقل في النشأة أحوالاً، ولا تردد في الأرحام أطواراً كذريته، بل خلقه الله رجلاً كاملاً سوياً من أول ما نفخ فيه الروح ثم عقب ذلك بقوله: **(وطوله ستون ذراعاً)** فعاد الضمير أيضاً على آدم»[(٣)].

٢ ـ أن حمل الحديث على ظاهره يقتضي التشبيه، وهذا ظاهر في استدلال ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ كما تقدم.

وكذا قول الخطابي في الضمير: «فلم يصلح أن تصرف إلى الله عَزَّوَجَلَّ؛ لقيام الدليل على أنه ليس بذي صورة سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾»[(٤)].

فالحامل لهم على هذا التأويل هو الفرار من التشبيه.

القول الثاني: أن الضمير في قوله: (على صورته) عائد إلى الله تعالى، وأن إضافة الصورة إلى الله تعالى من باب إضافة الصفة إلى الموصوف، وعلى هذا جمهور أهل السنة، بل قال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ وهو ممن

---

(١) أعلام الحديث (٣/ ٢٢٢٧).
(٢) إكمال المعلم (٨/ ٣٧٤)، وانظر: التوحيد لابن خزيمة (١/ ٩٣ ـ ٩٤).
(٣) الفتح (٦/ ٣٦٦).
(٤) تقدم قريباً في ص (١٢٠).

انتصر لهذا القول وأطال الكلام جداً على هذا الحديث[١] ـ قال: «هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك»[٢].

وممن أشار إلى هذا القول ـ أيضاً ـ وأثبت صفة الصورة لله تعالى بهذا الحديث:

إسحاق بن راهويه والإمام أحمد، فعن إسحاق الكوسج[٣] أنه قال: قلت لأحمد: **(لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)**[٤]، أليس تقول بهذه الأحاديث؟ قال أحمد: صحيح.

---

(١) في كتابه الذي يرد فيه على الرازي واسمه: (بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية) أو (نقض تأسيس الجهمية)، وقد طبع منه مجلدان كبيران بهذا العنوان، وأما بقية الكتاب فلا يزال مخطوطاً، وقد قام عدد من الباحثين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتحقيق الكتاب كاملاً، لكنه لم يطبع بعد.
وكلام ابن تيمية عن هذا الحديث في هذه البقية التي لم تطبع، وقد لخصه الشيخ حمود التويجري ﷺ في كتابه: (عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمٰن).

(٢) بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس، تحقيق د. عبد الرحمٰن اليحيى (٢/ ٣٩٦).

(٣) هو أبو يعقوب إسحاق بن منصور بن بهرام المروزي، نزيل نيسابور، إمام فقيه حافظ حجة، طلب العلم ودوَّنه، وبرع واشتهر، وهو الذي دوَّن المسائل في الفقه عن أحمد بن حنبل وإسحاق بن راهويه، توفي ﷺ سنة إحدى وخمسين ومائتين (٢٥١هـ).
[انظر: تاريخ بغداد (٦/ ٣٦٠)، وطبقات الحنابلة (١/ ٣٠٣)، والسير (١٢/ ٢٥٨)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٢٤)، وتقريب التهذيب (١/ ٨٥)، وشذرات الذهب (٢/ ١٢٣)].

(٤) أخرجه بهذا اللفظ ـ عن ابن عمر ـ ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٩) ح(٥١٨)، والدارقطني في الصفات (٥٦) ح(٤٥)، وقال الألباني في ظلال الجنة: «حديث صحيح وإسناده ضعيف».
وأخرجه الآجري في الشريعة (٣/ ١١٥١) ح(٧٢٢) من طريق أبي هريرة ﷺ.

وقال ابن راهويه: «صحيح ولا يدعه إلا مبتدع أو ضعيف الرأي»[(١)].

وسئل الإمام أحمد فقيل له: يا أبا عبد الله: الحديث الذي رُوي عن النبي ﷺ: **(أن الله خلق آدم على صورته)** على صورة آدم؟ فقال: فأين الذي يروى عن النبي ﷺ: **(أن الله تعالى خلق آدم على صورة الرحمن ﷻ)**؟ وأي صورةٍ كانت لآدم قبل أن يخلق؟[(٢)].

وصرح الإمام أحمد رحمه الله بأن القول: بإعادة الضمير على آدم أو على

---

(١) رواه الآجري في الشريعة (٣/ ١١٢٧) ح(٦٩٧)، وابن بطة في الإبانة (المختار ٢٦٦) ح(١٩٧)، واللفظ له وابن عبد البر في التمهيد (٧/ ١٩٧)، وانظر: إبطال التأويلات لأبي يعلى (١/ ٨١)، وبيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٤٣٢ ـ ٤٣٣)، وفتح الباري (٥/ ١٨٣).

(٢) انظر: إبطال التأويلات (١/ ٨٨، ٩٠). تنبيه: روي عن الإمام أحمد رحمه الله أنه قال في معنى حديث: (إن الله خلق آدم على صورته): «صوَّر آدم قبل خلقه ثم خلقه على تلك الصورة، فأما أن يكون الله خلق آدم على صورته فلا، وقد قال الله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ولا نقول: إن الله يشبهه شيء من خلقه، ولا يخفى على الناس أن الله خلق آدم على صورة آدم»، ولكن هذه الرواية باطلة لا تصح عن الإمام أحمد رحمه الله، إذ إن جميع الروايات عنه رحمه الله ـ في هذا الباب ـ ترد هذه الرواية وتبطلها، كيف وقد جعل الإمام أحمد رحمه الله هذا التأويل من تأويلات الجهمية كما سيأتي.

وقد نقل هذه الرواية أبو يعلى الفراء في إبطال التأويلات (١/ ٨٩ ـ ٩٠) ثم قال: «قال أبو طالب المكي: هذا توهم عن أحمد، إنما هذا قول أبي ثور، فذُكر ذلك لأحمد فأنكر عليه وقال: ويله وأي صورة كانت لآدم حتى خلقه عليها؟ يقول: إن الله خلق على مثال! ويله فكيف يصنع بالحديث الآخر: (أن الله خلق آدم على صورة الرحمٰن).

فهذا هو المحفوظ من قول أحمد، وإنما التبس القولان فنسب ذلك إلى أحمد، لأن أبا ثور كان سئل عن قوله: (خلق آدم على صورته) فقال: الهاء عائدة على آدم».

وذكر هذه الرواية الذهبي في الميزان (٢/ ٣٧٤)، ووصف الراوي لها بأنه قد أتى بشيء منكر.

الرجل المضروب: قول الجهمية[١].

فقال رحمه الله: «من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي، وأي صورة لآدم قبل أن يخلقه»[٢].

وقال عبد الله[٣] بن الإمام أحمد: «قال رجل لأبي: إن فلاناً يقول في حديث رسول الله ﷺ: **(إن الله خلق آدم على صورته)**، فقال: على صورة الرجل! قال أبي: كذب هذا، هذا قول الجهمية، وأي فائدة في هذا؟»[٤].

وممن قال بهذا القول ـ أيضاً ـ الآجري[٥] رحمه الله، فقد عقد باباً

---

(١) الجهمية: هم أتباع جهم بن صفوان وهو من الجبرية الخالصة، حيث زعم أنه لا فعل ولا عمل لأحد غير الله تعالى، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على سبيل المجاز، وزعم أيضاً أن الإيمان هو المعرفة بالله تعالى فقط، وأنه لا يتبعض ولا يتفاضل أهله فيه، وقال بنفي أسماء الله تعالى وصفاته، ظهرت بدعته بترمذ وقتله سلم بن أحوز المازني بمرو في آخر ملك بني أمية.
[انظر: مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري (١/ ٣٣٨، ٢١٤)، والفرق بين الفرق للبغدادي (١٩٤)، وأصول الدين للبغدادي أيضاً (٣٣٣)، والملل والنحل للشهرستاني (١/ ٨٦)].

(٢) رواه ابن بطة في الإبانة (المختار ٢٦٦) ح(١٩٨)، وانظر: إبطال التأويلات (١/ ٧٥، ٨٨)، وطبقات الحنابلة (٢/ ٣٣٦)، وبيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٤٣٥).

(٣) هو أبو عبد الرحمٰن عبد الله بن الإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني المروزي، الإمام الحافظ الناقد المحدِّث، روى عن أبيه شيئاً كثيراً، من جملته: المسند كله، والزهد، وله كتاب السنة، وكان ثقة ثبتاً فهماً، توفي رحمه الله سنة تسعين ومائتين (٢٩٠هـ).
[انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٣٨٢)، والسير (١٣/ ٥١٦)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٦٦٥)، وتقريب التهذيب (١/ ٤٧٧)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٠٣)].

(٤) إبطال التأويلات (١/ ٨٨).

(٥) هو الإمام المحدث الفقيه الشافعي أبو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي، كان عالماً عابداً صاحب سنة واتباع، انتقل إلى مكة وجاور بها، وبها توفي رحمه الله سنة (٣٦٠هـ)، وله عدة تصانيف أشهرها: كتاب الشريعة.
[انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٢٣٩)، ووفيات الأعيان (٤/ ١١٣)، وتذكرة الحفاظ (٣/ ٩٣٦)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٥)].

بعنوان: «الإيمان بأن الله ﷻ خلق آدم على صورته بلا كيف»[(١)]، ثم ساق هذا الحديث بطرق متعددة، ثم قال: «هذه من السنن التي يجب على المسلمين الإيمان بها، ولا يُقال فيها: كيف؟ ولِمَ؟ بل تستقبل بالتسليم والتصديق وترك النظر»[(٢)].

وأيضاً قال بهذا القول ابن قتيبة[(٣)]، وأبو يعلى الفراء[(٤)]، وأبو إسماعيل الهروي[(٥)]، فقد عقد باباً بعنوان: «إثبات الصورة له ﷻ»[(٦)]، ثم ساق تحته حديث أبي هريرة: **(خلق الله آدم على صورته)**.

وكذا قوام السنة إسماعيل التيمي الأصبهاني[(٧)]، والشيخ عبد الله أبو بطين[(٨)]، وعبد العزيز بن باز[(٩)]، ومحمد العثيمين[(١٠)]، عليهم رحمة الله.

---

(١) الشريعة (٣/ ١١٤٧).
(٢) الشريعة (٣/ ١١٥٣).
(٣) انظر: تأويل مختلف الحديث (٢٠٦).
(٤) انظر: إبطال التأويلات (١/ ٨١).
(٥) هو شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن الهروي الصوفي الحافظ أحد الأعلام، كان جذعاً في أعين المبتدعة، وسيفاً على الجهمية، وقد امتحن مرَّات وصنف عدة مصنفات، وكان شيخ خراسان في زمانه بلا مدافع، توفي رحمه الله سنة (٤٨١هـ) له عدة مؤلفات منها: ذم الكلام وأهله، والأربعين في دلائل التوحيد. [انظر: السير (١٨/ ٥٠٣)، والعبر (٢/ ٣٤٣)، وشذرات الذهب (٣/ ٣٦٥)].
(٦) الأربعين في دلائل التوحيد (٦٣).
(٧) انظر: الحجة في بيان المحجة (١/ ٣١٠ ـ ٣١١).
(٨) انظر: الدرر السنية (٣/ ٢٦٠ ـ ٢٦٤)، وأبو بطين هو: عبد الله بن عبد الرحمٰن بن عبد العزيز العائذي، الملقب بأبي بطين، فقيه الديار النجدية في عصره، وأحد تلامذة الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، تولى القضاء في عدد من المناطق، وله عدة مؤلفات منها: الانتصار، وتأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، توفي رحمه الله في شقراء سنة ألف ومائتين واثنتين وثمانين (١٢٨٢هـ). [انظر: علماء نجد (٤/ ٢٢٥)، ومعجم المؤلفين (٢/ ٢٥٢)، والأعلام (٤/ ٩٧)].
(٩) انظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة له، جمع وترتيب د/ محمد الشويعر (٦/ ٣٥٣).
(١٠) انظر: شرح العقيدة الواسطية (١/ ١٠٨ ـ ١١٠).

واستدل أصحاب هذا القول بما يلي:

١ ـ ظاهر النصوص السابقة والتي فيها قوله ﷺ: **(خلق الله آدم على صورته)**، والأصل حمل اللفظ على ظاهره، وذلك بإرجاع الضمير إلى الله تعالى.

وقد قال الإمام أحمد رحمه الله تعالى عند هذا الحديث: «وإذا ثبتت صحته فغير ممتنع الأخذ بظاهره من غير تفسير ولا تأويل»[(١)].

وسئل رحمه الله عن هذا الحديث فقال: «لا نفسره كما جاء الحديث»[(٢)].

قال القاضي أبو يعلى تعليقاً على هذا الكلام: «فقد صرح بالقول: بالأخذ بظاهره، والكلام فيه في فصلين:

أحدهما: جواز إطلاق تسمية الصورة عليه سبحانه...

الفصل الثاني: في إطلاق القول: بأنه خلق آدم على صورته وأن الهاء راجعة على الرحمن»[(٣)].

وسئل الإمام أحمد ـ أيضاً ـ عن هذا الحديث فقال: «نقول كما جاء الحديث»[(٤)].

٢ ـ حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: **(لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن)**.

فقالوا: هذا نص صحيح صريح غير قابل للتأويل[(٥)].

---

(١) إبطال التأويلات (١/ ٧٩).

(٢) إبطال التأويلات (١/ ٧٩ ـ ٨٠)، وانظر: بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٤٣٣ ـ ٤٣٤).

(٣) إبطال التأويلات (١/ ٨٠ ـ ٨١).

(٤) رواه ابن بطة في الإبانة (المختار ٢٦٤) ح(١٩٦)، وانظر: المنتخب من العلل للخلال، لابن قدامة المقدسي (٢٦٥ ـ ٢٦٧)، وبيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٤٣٥).

(٥) انظر: عقيدة أهل الإيمان (٤٠).

ولأهمية هذا الحديث في هذا الباب وكونه فيصلاً وقاطعاً للنزاع في هذه المسألة، فقد أثار نقاشاً واسعاً، خاصة بين بعض العلماء المعاصرين[١].

وفيما يلي توضيح وبيان لهذا الحديث بشيء من التوسع فأقول:

جاء هذا الحديث من طريقين: أحدهما موصول والآخر مرسل:

أما الموصول فهو من رواية الأعمش عن حبيب بن أبي ثابت، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا تقبحوا الوجه فإن ابن آدم...)**[٢].

---

(١) كتب الشيخ حماد بن محمد الأنصاري رحمه الله مقالة ـ في مجلة الجامعة السلفية في ذي القعدة سنة (١٣٩٦) المجلد الثامن العدد الرابع ـ بعنوان: «تعريف أهل الإيمان بصحة حديث صورة الرحمٰن»، صحح فيه هذا الحديث ورد على ابن خزيمة في تعليله له، ونقل هذه المقالة: الدكتور علي بن ناصر الفقيهي في هامش كتاب الصفات للدارقطني بتحقيقه (٥٨ ـ ٦٢).
فكتب الشيخ الألباني رحمه الله تعالى رداً على هذه المقالة، وذلك في ذيل تضعيفه لهذا الحديث ونصرته لتعليل ابن خزيمة رحمه الله، في سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣/ ٣١٩).
فكتب الشيخ حمود التويجري رحمه الله رسالة بعنوان: «عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمٰن»، رد فيها على تضعيف ابن خزيمة والألباني لهذا الحديث.
ثم كتب الشيخ عبد الله الدويش رحمه الله رسالة بعنوان: «دفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق الله آدم على صورة الرحمٰن» رد فيها على ابن خزيمة رحمه الله وكذا على الألباني في رده على الشيخ حماد الأنصاري.
رحم الله الجميع، وأسكنهم فسيح جناته، فكلهم ناشد للحق، حريص على السنة، ذاب عن حياض العقيدة، نحسبهم كذلك والله حسيبهم ولا نزكي على الله أحداً.

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٨) ح(٥١٧)، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (١/ ٢٦٨) ح(٤٩٨)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٨٥) ح(٤١)، والآجري في الشريعة (٣/ ١١٥٢) ح(٧٢٥)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣٢٩) ح(١٣٥٨٠)، وابن بطة في الإبانة (المختار ٢٤٤) ح(١٨٥)، وكذا في (٢٦٠)=

وأما المرسل فهو من رواية سفيان الثوري عن حبيب بن أبي ثابت عن عطاء: قال: قال رسول الله ﷺ: **(لا يقبح الوجه فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن)**[١].

وقد اختلف أهل العلم في هذا الحديث بين مصحح ومضعف:

فممن صححه: إسحاق بن راهويه[٢] وأحمد[٣]، والحاكم[٤]، وابن تيمية[٥]، والذهبي[٦]، وابن حجر[٧].

= ح(١٩٠)، و(٢٦٢) ح(١٩٣)، والدارقطني في الصفات (٦٤) ح(٤٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٦٤) ح(٦٤٠)، والحاكم في مستدركه (٢/ ٣٤٩) ح(٣٢٤٣)، وأبو يعلى في إبطال التأويلات (١/ ٩٦) ح(٨١).

(١) أخرجه ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٨٦) ح(٤٢)، وصحح إسناده الألباني في ظلال الجنة (١/ ٢٢٩).

(٢) حيث قال رحمه الله: «قد صح عن رسول الله ﷺ أنه قال: (إن آدم خلق على صورة الرحمٰن)» إبطال التأويلات (١/ ٨١)، وانظر: المنتخب من العلل للخلال، لابن قدامة (٢٦٥)، وبيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٤٣٧)، والميزان للذهبي (٤/ ٩٦)، وفتح الباري (٥/ ١٨٣).

(٣) قال إسحاق الكوسج: سمعت أحمد بن حنبل يقول: «هذا الحديث صحيح» ميزان الاعتدال (٤/ ٩٦)، وانظر: الفتح (٥/ ١٨٣)، وإبطال التأويلات (١/ ٩٢).

(٤) حيث قال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» المستدرك (٢/ ٣٤٩)، ووافقه الذهبي.

(٥) انظر: بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٤٦٣)، وعقيدة أهل الإيمان (٢٦)، ودفاع أهل السنة للدويش (٥٠).

(٦) حيث قال عن هذا الحديث «وصح أيضاً من حديث ابن عمر» السير (٥/ ٥٤٠).

(٧) حيث قال عن هذه الزيادة (على صورة الرحمٰن): «الزيادة أخرجها ابن أبي عاصم في السنة والطبراني من حديث ابن عمر بإسناد رجاله ثقات» الفتح (٥/ ١٨٣)، وانظر: مجمع الزوائد للهيثمي (٨/ ١٠٦).
وصحح الحديث ـ أيضاً ـ الشيخ حماد الأنصاري في مقالته: «تعريف أهل الإيمان بصحة حديث صورة الرحمٰن»، وهي مطبوعة في هامش كتاب الصفات للدارقطني (٥٨) بتحقيق الفقيهي. =

وأما الذين ضعفوه فعلى رأسهم ابن خزيمة، والمازري[١]، والألباني، عليهم رحمة الله.

أما ابن خزيمة فقد وجه إلى هذا الحديث ثلاث علل، وزاد عليها الألباني علة رابعة وهي كالتالي:

العلة الأولى: أن الثوري قد خالف الأعمش في إسناده، فأرسل الثوري ولم يقل: عن ابن عمر.

والعلة الثانية: أن الأعمش مدلس ولم يذكر أنه سمعه من حبيب بن أبي ثابت.

والعلة الثالثة: أن حبيب بن أبي ثابت مدلس أيضاً ولم يعلم أنه سمعه من عطاء.

وأما العلة الرابعة التي ذكرها الألباني فهي: أن جرير بن عبد الحميد ـ راوي هذا الحديث عن الأعمش ـ قد نسب في آخر عمره إلى سوء الحفظ[٢].

وقد أجاب أهل العلم عن هذا التعليل بجوابين: أحدهما مجمل، والآخر مفصل:

أما المجمل فهو: أن تضعيف ابن خزيمة رَحِمَهُ اللَّهُ مقابل بتصحيح غيره كإسحاق وأحمد عليهما رحمة الله، وهما أعلم بالأسانيد والعلل منه.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية عن هذا الحديث: «قد صححه إسحاق بن راهويه وأحمد بن حنبل، وهما أجل من ابن خزيمة باتفاق الناس»[٣].

= وكذا الشيخ عبد الله الدويش في رسالته: «دفاع أهل السنة والإيمان عن حديث خلق آدم على صورة الرحمٰن» ص(٨).

(١) انظر: المعلم (٣/١٦٩)، وشرح النووي على مسلم (١٦/٤٠٣)، وفتح الباري (٥/١٨٣).

(٢) انظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣/٣١٧).

(٣) بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/٤٥٨ ـ ٤٥٩).

وأما الجواب المفصل: فهو بتتبع هذه العلل، الواحدة تلو الأخرى والجواب عنها:

أما العلة الأولى وهي: كون الثوري قد خالف الأعمش في إسناده، حيث أرسله ولم يصله كما فعل الأعمش.

فالجواب عنها: أن مخالفة الثوري للأعمش لا تضر ولا تؤثر لأن الأعمش ثقة حافظ، وكان يسمى المصحف من صدقه، قال فيه يحيى القطان[١]: هو علامة الإسلام، وقال ابن عيينة[٢]: سبق الأعمش أصحابه بأربع خصال: كان أقرأهم للقرآن وأحفظهم للحديث، وأعلمهم بالفرائض، وذكر خصلة أخرى، وقال شعبة[٣]: ما شفاني أحد من الحديث ما شفاني الأعمش، وقال ابن عمار[٤]: ليس في المحدثين أحد

---

(١) هو يحيى بن سعيد بن فرُّوخ التميمي مولاهم أبو سعيد القطان البصري، إمام متقن حافظ، عُني بالحديث ورحل فيه، وساد الأقران، وانتهى إليه الحفظ، وتكلَّم في العلل والرجال، وتخرج به الحفاظ، توفي رحمه الله سنة ثمان وتسعين ومائة (١٩٨هـ).
[انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ١٤٠)، والسير (٩/ ١٧٥)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٢٩٨)، وتقريب التهذيب (٢/ ٣٠٣)، وشذرات الذهب (١/ ٣٥٥)].

(٢) هو سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي ثم المكي، ثقة حافظ فقيه إمام حجة، وكان ربما دلس لكن عن الثقات، وقد اتفقت الأئمة على الاحتجاج به لحفظه وأمانته، أدرك نيفاً وثمانين نفساً من التابعين، انتهى إليه علو الإسناد، ورُحل إليه من البلاد، توفي رحمه الله سنة (١٩٨هـ).
[انظر: تاريخ بغداد (٩/ ١٧٣)، ووفيات الأعيان (٢/ ٣٢٦)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٢٦٢)، والسير (٨/ ٤٥٤)، وتقريب التهذيب (١/ ٣٧١)].

(٣) هو الإمام الحافظ شعبة بن الحجاج بن الورد أبو بسطام الأزدي العتكي مولاهم الواسطي، عالم أهل البصرة وشيخها، وأمير المؤمنين في الحديث، كان من أوعية العلم، لا يتقدمه أحد في الحديث في زمانه، وهو أوَّل من فتَّش بالعراق عن الرجال، وذبَّ عن السنة، وكان عابداً زاهداً، توفي رحمه الله سنة (١٦٠هـ).
[انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٢٥٥)، ووفيات العيان (٢/ ٣٨٨)، والسير (٧/ ٢١٢)، وتذكرة الحفاظ (١/ ١٩٣)، وتقريب التهذيب (١/ ٤١٨)].

(٤) هو أبو الفضل محمد بن أبي الحسين أحمد بن محمد بن عمَّار الجارودي=

أثبت من الأعمش[١].

فمخالفة الثوري للأعمش لا تُعِلُّ حديثه؛ لأن معه زيادة علم، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ[٢].

ثم إنه ليس بين الطريقين ـ الموصول والمرسل ـ اختلاف؛ لأن المرسل قد بينه الموصول فهو مفسر له، فالطريق التي فيها رواية عطاء عن النبي ﷺ مباشرة ـ دون ذكر ابن عمر ـ قد بينتها الطريق الأخرى والتي فيها رواية عطاء عن ابن عمر عن النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من المعلوم أن عطاء بن أبي رباح إذا أرسل هذا الحديث عن النبي ﷺ، فلا بد أن يكون قد سمعه من أحد، وإذا كان في إحدى الطريقين قد بين أنه أخذه عن ابن عمر كان هذا بياناً وتفسيراً لما تركه وحذفه من الطريق الأخرى، ولم يكن هذا اختلافاً أصلاً»[٣].

وأما العلة الثانية وهي: تدليس الأعمش فإنها لا تؤثر في صحة الإسناد؛ لأن الأعمش معدود في الطبقة الثانية من المدلسين، وهم الذين احتمل الأئمة تدليسهم وأخرجوا لهم في الصحيح، لإمامتهم وقلة تدليسهم في جنب ما رووا كالثوري أو لأنهم لا يدلسون إلا عن ثقات كابن عيينة، كما أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله في كتابه: «تعريف أهل التقديس بمراتب الموصوفين بالتدليس»[٤].

ثم إن الثوري قد تابع الأعمش في رواية هذا الحديث عن حبيب بن

= الهروي، إمام حافظ ناقد مجوِّد، من أقران الطبراني وابن عدي، ويُعرف بابن عمار الشهيد، لأنه قتل في الحرم على يد القرامطة سنة (٣١٧هـ).
[انظر: السير (١٤/ ٥٣٨)، والعبر (١/ ٤٧٥)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٧٥)].

(١) انظر: تاريخ بغداد (٩/ ٤ ـ ١٢)، وسير أعلام النبلاء (٦/ ٢٤٦، ٢٣٢).
(٢) انظر: عقيدة أهل الإيمان (٢٢)، ودفاع أهل السنة والإيمان (٩).
(٣) بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٤٥٩).
(٤) انظر: ص(٢٣، ٦٧).

أبي ثابت كما هو عند ابن خزيمة في كتاب التوحيد ـ وقد تقدم ـ إلا أنه مرسل[١] وقد صحح الألباني إسناده[٢].

وأما العلة الثالثة: وهي تدليس حبيب بن أبي ثابت، فإنه وإن كان معروفاً بالتدليس[٣]، إلا أن الذي يترجح في روايته هذه أنه لم يدلس فيها وأنه قد سمعه من عطاء وإن لم يصرح بذلك، ويدل على ذلك أنه كان يروى عن ابن عمر رضي الله عنهما مباشرة، فلو كان قد دلس في هذا الحديث لكان جديراً أن يرويه عن ابن عمر رضي الله عنهما بدون واسطة ليحصل له بذلك علو الإسناد، ولكن لما رواه عن عطاء عن ابن عمر رضي الله عنهما دلَّ ذلك على أنه لم يدلس في روايته[٤]، وقد قال فيه يحيي بن معين[٥]: ثقة حجة.

وقال الذهبي: وهو ثقة بلا تردد[٦].

ثم إن حديث أبي هريرة ـ الآتي قريباً ـ يعضده ويقويه ويشهد له.

وأما العلة الرابعة والتي ذكرها الألباني رحمه الله وهي: أن جرير بن عبد الحميد قد نسب في آخر عمره إلى سوء الحفظ.

فالجواب عنها أن يقال: «إن هذا الحديث قد رواه عن جرير أئمة حفاظ مثل إسحاق بن راهوية وقد جزم بصحة الحديث، وأبي معمر

---

(١) انظر: عقيدة أهل الإيمان (٢٢)، ودفاع أهل السنة (٩).
(٢) كما في ظلال الجنة (١/ ٢٢٩).
(٣) انظر: تقريب التهذيب (١/ ١٨٣).
(٤) انظر: عقيدة أهل الإيمان (٢٣)، ودفاع أهل السنة (٩).
(٥) هو الإمام يحيى بن معين المري مولاهم البغدادي، أحد الأعلام وحجة الإسلام وسيد الحفاظ وإمام الجرح والتعديل، حديثه في الكتب الستة، كان بينه وبين الإمام أحمد مودة واشتراك في طلب الحديث ورجاله، وروى عنه الإمام أحمد له مناقب كثيرة وفضائل شهيرة، توفي رحمه الله بالمدينة سنة (٣٢٣هـ). [انظر: تاريخ بغداد (١٤/ ١٨١)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٤٢٩)، وتقريب التهذيب (٢/ ٣١٦)، وشذرات الذهب (٢/ ٧٩)].
(٦) السير (٥/ ٢٩٠ ـ ٢٩١).

وإسماعيل بن موسى وهارون بن معروف ونحوهم، ولم يذكر أحد منهم أنه أخطأ فيه، بل رووه قابلين له وتلقاه عنهم العلماء بالقبول، فهذا برهان واضح أن جريراً قد حفظه، هذا لو لم يروه غير جرير، فكيف وقد رواه عبد الرحمن بن مهدي عن سفيان الثوري عن حبيب عن عطاء إلا أنه أرسله؟!»[(١)].

ويشهد لهذا الحديث: ما رواه أبو هريرة ﷺ والذي جاء من وجهين:

أحدهما: من طريق ابن لهيعة عن أبي يونس سليم بن جبير عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(من قاتل فليجتنب الوجه فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمن)**[(٢)].

والثاني: من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **(إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله تعالى خلق آدم على صورة وجهه)**[(٣)].

---

(١) دفاع أهل السنة (١٠ ـ ١١).

(٢) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٣٠) ح(٥٢١)، وعبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٥٣٦) ح(١٢٤٣)، والدارقطني في الصفات (٦٥) ح(٤٩)، وفيه رواه ابن لهيعة عن الأعرج، وأخرجه ـ أيضاً ـ أبو يعلى في إبطال التأويلات (١/ ٩٦) ح(٨٢)، وقال الألباني في ظلال الجنة (٢٣٠): «إسناده ضعيف، ورجاله ثقات غير ابن لهيعة فإنه سيء الحفظ».

(٣) أخرجه ابن أبي عاصم في السنة (١/ ٢٢٧) ح(٥١٦)، وقال الألباني في ظلال الجنة: «إسناده صحيح، رجاله رجال الشيخين غير شيخ المصنف وهو ثقة... لكني في شك من ثبوت قوله: (على صورة وجهه) فإن المحفوظ في الطرق: (على صورته)»ا.هـ قلت: لا وجه لهذا الشك وقد حكم على إسناده بالصحة، وليس في هذه الرواية ما يخالف الرواية الأخرى: (على صورته).
قال الشيخ عبد الله الدويش تعليقاً على هذا الكلام للألباني: «قلت: سعيد ثقة حافظ فلا يرد حديثه بمثل هذا التوهم، وهذه اللفظة لا تخالف ما ثبت من قوله (على صورته) لأن الضمير يعود على الله كما بين ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في=

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله ـ وهو يتكلم على حديث ابن عمر ـ: «وأيضاً فقد روي بهذا اللفظ من طريق أبي هريرة، والحديث المروي من طريقين مختلفين لم يتواطأ رواتهما، يؤيد أحدهما الآخر ويستشهد به ويعتبر به، بل قد يفيد ذلك العلم، إذ الخوف من تعمد الكذب أو من سوء الحفظ، فإذا كان الرواة ممن يعلم أنهم لا يتعمدون الكذب، أو كان الحديث ممن لا يُتواطأ في العادة على اتفاق الكذب على لفظه، لم يبق إلا سوء الحفظ، فإذا كان قد حفظ كل منهما مثل ما حفظ الآخر، كان ذلك دليلاً على أنه محفوظ»[١].

بل أشار شيخ الإسلام إلى أن عطاء لو لم يذكره إلا مرسلاً لكان فيه كفاية؛ لأنه من أجلِّ التابعين قدراً، فإنه هو وسعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي والحسن البصري أئمة التابعين في زمانهم، وجزمه بهذا الخبر العلمي عن النبي ﷺ في مثل هذا الباب دليل على ثبوته عنده[٢].

تنبيه:

أشار بعض أهل العلم كابن فورك[٣]، والبيهقي[٤]، والمازري[٥]،

= رده على الرازي وأبطل قول من جعل الضمير يعود على آدم أو غيره من المخلوقين من وجوه كثيرة، من تأملها لم يبق عنده شبهة وشك في أن الضمير يعود على الله» دفاع أهل السنة (١١ ـ ١٢)، وانظر: عقيدة أهل الإيمان (٢٧ ـ ٢٨).

(١) بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٤٦١ ـ ٤٦٢).

(٢) انظر: بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٤٥٩).

(٣) انظر: مشكل الحديث (٤٣).

(٤) انظر: الأسماء والصفات (٢/ ٦٤).

(٥) المعلم (٣/ ١٦٩)، والمازري هو: الشيخ الإمام العلامة البحر المتفنن أبو عبد الله محمد بن علي بن عمر بن محمد التميمي المازري المالكي، كان ذكياً بصيراً بعلم الحديث، له معرفة بالطب، ألف في الفقه والأصول والحديث وغيرها، توفي رحمه الله سنة (٥٣٦هـ)، وله تصانيف من أشهرها: المعلم بفوائد مسلم.
[انظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٠٩)، والسير (٢٠/ ١٠٤)، والعبر (٢/ ٤٥١)، وشذرات الذهب (٤/ ١١٤)].

والقرطبي[١]، وغيرهم، إلى أنه يحتمل أن يكون بعض الرواة قد نقله بهذا اللفظ ـ **(على صورة الرحمن)** ـ بناءً على ما وقع في قلبه من معناه.

ولكن هذا الاحتمال باطل عارٍ من الدليل، فلا ترد بمثله الأحاديث، ومنشأ هذا الاحتمال هو استبعاد عود الضمير على الله تعالى، لأن هذا على مذهبهم يلزم منه تشبيه الله تعالى بخلقه، ولكن هذا اللازم غير مسلم كما سيأتي.

الخلاصة:

أن هذا الحديث ـ وهو حديث ابن عمر ـ صححه جمع من أهل العلم كإسحاق وأحمد والحاكم وابن تيمية والذهبي وابن حجر وغيرهم، وذكروا له شواهد تعضده وتقويه، وضعفه آخرون كابن خزيمة والمازري، وتبعهم في ذلك الألباني فأعله ابن خزيمة بثلاث علل، وزاد عليها الألباني علة رابعة تمت الإجابة عنها فيما تقدم، والله أعلم.

القول الثالث: أن الضمير في قوله **(على صورته)** يعود على الله ﷻ، وتكون إضافة الصورة إلى الله تعالى من باب إضافة المخلوق إلى خالقه كما في قوله تعالى: ﴿نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾ وكما يقال في الكعبة: بيت الله... وهكذا.

وبهذا جزم ابن خزيمة رحمه الله ـ بناءً على افتراض صحة حديث **(على صورة الرحمن)** ـ فقال بعدما أعل الحديث بما تقدم: «فإن صح هذا الخبر مسنداً بأن يكون الأعمش قد سمعه من حبيب بن أبي ثابت، وحبيب قد سمعه من عطاء بن أبي رباح، وصح أنه عن ابن عمر ـ على ما رواه الأعمش ـ فمعنى هذا الخبر عندنا: أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر إنما هو من إضافة الخلق إليه، لأن الخلق يضاف إلى الرحمن، إذ الله خلقه، وكذلك الصورة تضاف إلى الرحمن لأن الله صورها، ألم تسمع قوله ﷻ: ﴿هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [لقمان: ١١]،

---

(١) نقل ذلك عنه الحافظ في الفتح (٥/ ١٨٣).

فأضاف الله الخلق إلى نفسه، إذ الله تولى خلقه، وكذلك قول الله ﷻ: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً﴾ [الأعراف: ٧٣]، فأضاف الله الناقة إلى نفسه...»[(١)].

القول الرابع: إنكار حديث: **(إن الله خلق آدم على صورته)** والنهي عن التحديث به، وهذا مروي عن الإمام مالك[(٢)] رحمه الله، فقد روى العقيلي بسنده عن عبد الرحمن بن القاسم أنه سأل الإمام مالك رحمه الله عمن يحدث بهذا الحديث الذي قالوا: **(إن الله خلق آدم على صورته)**؟ فأنكر ذلك إنكاراً شديداً ونهى أن يحدث به أحد، فقيل له: إن أناساً من أهل العلم يتحدثون به، قال: من هم؟ قيل: ابن عجلان عن أبي الزناد، فقال: لم يكن يعرف ابن عجلان هذه الأشياء، ولم يكن عالماً، ولم يزل أبو الزناد عاملاً لهؤلاء حتى مات وكان صاحب عمال يتبعهم[(٣)].

(١) التوحيد (١/ ٨٧ ـ ٩١)، وانظر: الأسماء والصفات للبيهقي (٢/ ٦٣ ـ ٦٤)، والمعلم للمازري (٣/ ١٧١)، وشرح النووي على مسلم (١٦/ ٤٠٣ ـ ٤٠٤).

(٢) انظر: التمهيد (٧/ ١٥٠).

(٣) انظر: الضعفاء الكبير (٢/ ٢٥١ ـ ٢٥٢)، ونقله عنه الذهبي في الميزان (٤/ ٩٥)، وفي السير (٥/ ٤٤٩)، وانظر: السير (٨/ ١٠٣ ـ ١٠٤) فقد نقل فيه الذهبي هذه القصة عن الإمام مالك من طريق ابن عدي.

المطلب الثالث

الترجيـــــح

مما لا ريب فيه أن الصورة ثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وأن الضمير في قوله: **(على صورته)** عائد إلى الله تعالى، وإضافة الصورة إليه من باب إضافة الصفة إلى الموصوف ـ على ما جاء في القول الثاني ـ كما هو مقتضى ظاهر لفظ الحديث، ولا يجوز تأويل الحديث وصرفه عن ظاهره لمجرد توهم التشبيه والتمثيل، فإن هذا شأن أهل البدع، أما أهل السنة فإنهم يؤمنون بما صح من أحاديث الصفات كلها، ويجرونها على ظاهرها على ما يليق بجلال الله وعظمته مع نفي المماثلة على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «هذا الحديث لم يكن بين السلف من القرون الثلاثة نزاع في أن الضمير عائد إلى الله تعالى، فإنه مستفيض من طرق متعددة عن عدد من الصحابة، وسياق الأحاديث كلها يدل على ذلك... ولكن لما انتشرت الجهمية في المائة الثالثة جعل طائفة الضمير فيه عائداً إلى غير الله تعالى، حتى نقل ذلك عن طائفة من العلماء المعروفين بالعلم، والسنة في عامة أمورهم كأبي ثور وابن خزيمة وأبي الشيخ الأصبهاني وغيرهم، ولذلك أنكر عليهم أئمة الدين وغيرهم من علماء السنة»[(١)].

ولا فرق بين إثبات هذه الصفة ـ الصورة ـ لله تعالى وبين إثبات بقية الصفات، فما يقال فيها من توهم المشابهة والمماثلة، يقال في بقية الصفات كاليدين والوجه والعين وغيرها.

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٣٩٦ ـ ٣٩٩).

قال ابن قتيبة رحمه الله: «والذي عندي ـ والله تعالى أعلم ـ أن الصورة ليست بأعجب من اليدين والأصابع والعين، وإنما وقع الإلف لتلك، لمجيئها في القرآن، ووقعت الوحشة من هذه لأنها لم تأت في القرآن، ونحن نؤمن بالجميع، ولا نقول في شيء منه بكيفية ولا حد»[(١)].

وقال القاضي أبو يعلى رحمه الله عن هذا الحديث: «والوجه فيه أنه ليس في حمله على ظاهره ما يحيل صفاته ولا يخرجها عما تستحقه، لأننا نطلق تسمية الصورة عليه لا كالصور، كما أطلقنا تسمية ذات ونفس لا كالذوات والنفوس»[(٢)].

وقد جاءت عدة أحاديث صحيحة في إثبات الصورة لله تعالى ـ غير ما تقدم ـ ومن ذلك ما يلي:

١ ـ حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: **(هل تُضَارُّون في رؤية القمر ليلة البدر؟)** قالوا: لا يا رسول الله، قال: **(هل تُضَارُّون في الشمس ليس دونها سحاب؟)** قالوا: لا يارسول الله قال: **(فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول، أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه)** متفق عليه[(٣)].

---

(١) تأويل مختلف الحديث (٢٠٦).

(٢) إبطال التأويلات (١/ ٨١).

(٣) البخاري في مواضع: في كتاب الرقاق، باب: الصراط جسر جهنم (٥/ ٢٤٠٣) ح(٦٢٠٤)، وفي كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ (٦/ ٢٧٠٤) ح(٧٠٠٠)، وفي كتاب صفة الصلاة، باب: فضل=

قال القاضي أبو يعلى: «اعلم أن هذا الخبر يدل على إثبات الصورة وعلى الإتيان... وأنه غير ممتنع جواز إطلاق الصورة لا كالصور»[(١)].

٢ ـ حديث أبي سعيد الخدري ﷺ في الرؤية ـ وهو بمعنى الحديث السابق ـ وفيه: **(حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها...)** متفق عليه[(٢)].

٣ ـ حديث معاذ ﷺ قال: احتبس عنا رسول الله ﷺ ذات غداة من صلاة الصبح حتى كدنا نتراءى عين الشمس، فخرج سريعاً فثوَّب بالصلاة، فصلى رسول الله ﷺ، وتجوَّز في صلاته، فلما سلَّم دعا بصوته فقال لنا: **(على مصافكم كما أنتم)**، ثم انفتل إلينا فقال: **(أما إني سأحدثكم ما حبسني عنكم الغداة، أني قمت من الليل، فتوضأت فصليت ما قدر لي، فنعست في صلاتي، فاستثقلت، فإذا أنا بربي تبارك وتعالى في أحسن صورة...)**[(٣)].

= السجود (١/ ٢٧٧) ح(٧٧٣) لكن ليس فيه لفظ الصورة، ومسلم ـ واللفظ له ـ في كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية (٣/ ٢١) ح(١٨٢).

(١) إبطال التأويلات (١/ ١٥١).

(٢) البخاري: كتاب التفسير، باب: (إن الله لا يظلم مثقال ذرة) (٤/ ١٦٧١) ح(٤٣٠٥)، ومسلم: كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية (٣/ ٣٠) ح(١٨٣).

(٣) هذا الحديث يعرف بحديث المنام، لأن فيه رؤية النبي ﷺ لربه في المنام، وقد أخرجه الترمذي (٩/ ١٠٦) ح(٣٢٨٨)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح، سألت محمد بن إسماعيل ـ يعني البخاري ـ عن هذا الحديث فقال: هذا صحيح»، وانظر: العلل الكبير للترمذي (٢/ ٨٩٦)، وأخرجه أحمد في المسند (٣٦/ ٤٢٢) ح(٢٢١٠٩)، وابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٥٤٠) ح(٣٢٠)، والطبراني في الكبير (٢٠/ ١٠٩) ح(٢١٦)، وأيضاً في (٢٠/ ١٤١) ح(٢٩٠)، والدارقطني في الرؤية (٣١١ ـ ٣١٣) ح(٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١)، والحاكم مختصراً (١/ ٧٠٢).

وهذا الحديث مروي عن معاذ من عدة طرق أصحها ما رواه جهضم بن عبد الله عن يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام عن أبي سلَّام عن عبد الرحمٰن بن عائش الحضرمي أنه حدثه عن مالك بن يخامر السكسكي عن معاذ بن جبل، وهي=

.....

= الطريق التي صححها الترمذي والبخاري ـ كما تقدم ـ وقال البيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٧٩): «وأحسن طريق فيه رواية جهضم بن عبد الله ثم رواية موسى بن خلف».

وقال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية، القسم السابع، تحقيق د/ محمد البريدي (١/ ٢٦١) عن هذه الطريق: «هذه الطريق أتم الطرق إسناداً ومتناً».

وقد جاء هذا الحديث ـ أيضاً ـ من عدة طرق عن عدد من الصحابة كابن عباس وأنس وعبد الرحمٰن بن عائش وأبي أمامة الباهلي وعمران بن حصين وعبد الله بن عمر وثوبان وأبي هريرة وأبي رافع وجابر بن سمرة وأبي عبيدة بن الجراح، وهو بمجموع هذه الطرق حديث صحيح صححه جمع من أهل العلم والحديث.

قال الإمام أحمد عن حديث معاذ ـ كما في الكامل لابن عدي (٦/ ٣٤٤) ترجمة موسى بن خلف ـ: «هذا أصحها»، وانظر: الإصابة لابن حجر (٤/ ٢٧٣) ترجمة عبد الرحمٰن بن عائش.

وقال ابن منده في الرد على الجهمية (٩١): «وروي هذا الحديث عن عشرة من أصحاب النبي ﷺ، ونقلها عنهم أئمة البلاد من أهل الشرق والغرب».

وقال ابن تيمية في بيان تلبيس الجهمية، القسم السابع (١/ ٢٦٢) بعد سياقه لروايات هذا الحديث: «فهذه الروايات يصدق بعضها بعضاً، إذ قد رواه عن كل شخص أكثر من واحد، ولكن بمجموع هذه الطرق انكشف ما وقع في بعضها من غلط في بعض طرقه».

وقال الذهبي في السير (٢/ ١٦٧): «فأما رؤية المنام فجاءت من وجوه متعددة مستفيضة».

وذهب عدد من أهل العلم إلى تضعيف هذا الحديث كابن خزيمة والدارقطني والمروزي عليهم رحمة الله.

قال ابن خزيمة في التوحيد (٢/ ٥٤٦) بعد ذكره طرق هذا الحديث: «فليس يثبت من هذه الأخبار شيء من عند ذكرنا عبد الرحمٰن بن عائش إلى هذا الموضع، فبطل الذي ذكرنا لهذه الأسانيد، ولعل بعض من لم يتحر العلم يحسب أن خبر يحيى بن أبي كثير عن زيد بن سلام ثابت، لأنه قيل في الخبر عن زيد إنه حدثه عبد الرحمٰن الحضرمي، ويحيى بن أبي كثير رحمه الله أحد المدلسين لم يخبر أنه سمع هذا من زيد».

وقال الدارقطني في العلل (٦/ ٥٧) بعد ذكره لأوجه الخلاف في هذا الحديث: «ليس فيها صحيح وكلها مضطربة». =

.....

= وقال المروزي في قيام الليل (المختصر ٥٦): «هذا حديث قد اضطربت الرواة في إسناده ـ على ما بيَّنا ـ وليس يثبت إسناده عند أهل المعرفة بالحديث».
قال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد نقله لتضعيف ابن خزيمة المتقدم، وكذا قول الإمام أحمد عن هذا الحديث ـ كما في رواية الأثرم ـ: «يضطرب في إسناده وأصل الحديث واحد، وقد اضطربوا فيه»، قال ابن تيمية: «هذا كلام صحيح، فإنهم اضطربوا في إسناده بلا ريب، لكن لم يقل: إن هذا يوجب ضعف متنه، ولا قال: إن متنه غير ثابت، بل إن مثل هذا الاضطراب يوجد في أحاديث كثيرة وهي ثابتة، وهذه الطرق مع ما فيها من الاضطراب ـ لمن يتدبر الحديث ويحسن معرفته ـ تدل دلالة واضحة على أن الحديث محفوظ صحيح الأصل، لا ريب في ذلك، بل قد يوجب له القطع بذلك... وأما ما ذكره ابن خزيمة من كون يحيى مدلساً لم يذكر السماع، فهذا لا يضر هنا، لأن غاية ما فيه أن يكون أخذه من كتاب زيد بن سلّام، كما حكي عنه أنه كان يحدث من كتاب أبي سلّام، إما لمعرفته بخطه، وإما لأن الذي أعطاه قال له: هذا خطه، وهذا مما يزيد الحديث قوة، حيث كان مكتوباً... والذي ذكر ابن خزيمة من أنه لم يثبت طريقاً معيَّناً من هذه الطرق، هذا فيه نزاع بين أهل الحديث، لكن إذا ضمت بعضها إلى بعض صدَّق بعضها بعضاً، وهذا مما لا يتنازعون فيه.
لكن ابن خزيمة جرى على عادته أنه لا يحتج إلا بإسناد يكون وحده ثابتاً... فما قاله لا ينافي ما اتفق عليه أهل العلم، فثبت صحة الاحتجاج به من طريقين:
أحدهما: من جمع الطرق، لكن ابن خزيمة لم يسلك هذا.
والثاني: من جهة ثبوت الاحتجاج بالكتاب، لكن ابن خزيمة لم يذهب إلى هذا».
[بيان تلبيس الجهمية، القسم السابع (١/ ٣٧١ ـ ٣٧٥) باختصار وتصرف يسير، وانظر: إبطال التأويلات (١/ ١٤٠)].
قلت: إعلال ابن خزيمة رحمه الله لهذا الطريق ـ طريق معاذ المتقدم ـ بتدليس يحيى بن أبي كثير، مدفوع بكون يحيى قد صرح بالتحديث عن زيد في إسناد الإمام أحمد رحمه الله، انظر: المسند (٣٦/ ٤٢٢)، والله أعلم.
[وانظر: للوقوف على طرق هذا الحديث: التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٥٣٣ ـ ٥٤٥)، والرؤية للدارقطني (٣٠٨ ـ ٣٤٢)، ولابن رجب رحمه الله رسالة في شرح هذا الحديث بعنوان: (اختيار الأولى في شرح حديث اختصام الملأ الأعلى)]. =

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فقوله: **(فإذا أنا بربي في أحسن صورة)** صريح في أن الذي كان في أحسن صورة هو ربه»[(١)].

مناقشة الأقوال المرجوحة:

أما القول الأول: وهو الذي ذهب إليه ابن خزيمة[(٢)] وغيره، والذي

= وهذا الحديث يفيد أن الله تعالى قد يُرى في المنام، لكن ليس على حقيقته التي هو عليها الآن ﷻ.

قال الدارمي في النقض على المريسي (٢/ ٧٣٨): «وفي المنام يمكن رؤية الله تعالى على كل حال وفي كل صورة».

وقد نقل القاضي عياض اتفاق العلماء على جواز رؤية الله في المنام وصحتها. [انظر: إكمال المعلم (٧/ ٢٢٠)، ومسلم بشرح النووي (١٥/ ٣١)، وفتح الباري (١٢/ ٣٨٧)].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقد يَرى المؤمن ربه في المنام في صور متنوعة على قدر إيمانه ويقينه، فإذا كان إيمانه صحيحاً لم يره إلا في صورة حسنة، وإذا كان في إيمانه نقص رأى ما يشبه إيمانه، ورؤيا المنام لها حكم غير رؤيا الحقيقة في اليقظة، ولها تعبير وتأويل لما فيها من الأمثال المضروبة للحقائق». [مجموع الفتاوى (٣/ ٣٩٠)].

وقال أيضاً: «ورؤية الله تعالى في المنام جائزة بلا نزاع بين أهل الإثبات، وإنما أنكرها طائفة من الجهمية، وكأنهم جعلوا ذلك باطلاً، وإلا فما يمكنهم إنكار وقوع ذلك». [بيان تلبيس الجهمية، القسم السابع (١/ ٤٣١)، وانظر: (١/ ٧٣ ـ ٧٤) من نفس الكتاب، طبعة محمد بن قاسم، وإبطال التأويلات لأبي يعلى (١/ ١٢٧)].

(١) بيان تلبيس الجهمية، القسم السابع (١/ ٤٠٢).

(٢) التركيز على ابن خزيمة رحمه الله في هذه المسألة دون غيره ممن قال بقوله، لأنه معدود في أهل السنة، بل هو إمام من أئمتهم، فتأويله لهذا الحديث مستغرب منه، أما أهل الكلام المؤولين لهذا الحديث فغير مستغرب منهم ذلك، لأن التأويل الباطل ـ لنصوص الصفات ـ مطيتهم فهم أهله وأربابه.

وجدير بالتنبيه هنا: أن ابن خزيمة رحمه الله لا ينفي صفة الصورة لله تعالى بل يثبتها، فقد عقد باباً في كتاب التوحيد (١/ ٤٥) بعنوان: «باب ذكر صورة ربنا جل وعلا»، ثم ذكر تحته ما يتصف به وجه الله تعالى ـ مما ورد ذكره في النصوص ـ من=

فيه إعادة الضمير على غير الله تعالى، ففي حديث: **(إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته)**، قالوا: بإعادة الضمير على المضروب.

وفي حديث: **(خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً...)** جعلوا الضمير فيه عائداً إلى آدم عليه السلام.

فيجاب عنه بجوابين أحدهما مجمل، والآخر مفصل:

أما المجمل فهو أن يقال: هذا تأويل بعيد جداً عن ظاهر اللفظ، والأصل حمل اللفظ على ظاهره، كما أن في هذا القول موافقة لأهل الكلام المحرفين لنصوص الصفات عن ظاهرها، ولهذا عد الإمام أحمد هذا التأويل من تأويلات الجهمية وأنكره أشد الإنكار، فقال رحمه الله: «من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم، فهو جهمي..».

ولمَّا قيل له: إن فلاناً يقول في حديث رسول الله ﷺ: **(إن الله خلق آدم على صورته)**: على صورة الرجل، قال: «كذب هذا، هذا قول الجهمية..»[1].

وعند التأمل نجد أن الشبهة التي أوقعت إمام الأئمة - ابن خزيمة - وغيره في هذا التأويل هي: توهم المشابهة، ولذلك اجتهد في تأويله وصرفه عن ظاهره، فجعل متعلق الضمير في كل حديث غيره في الحديث الآخر.

ففي حديث: **(إذا قاتل أحدكم أخاه...)** جعل الضمير عائداً إلى المضروب.

= السبحات والنور والجلال والإكرام، وعقد قبله (١/ ٢٤) باباً بعنوان: «باب ذكر إثبات وجه الله»، وساق تحته بعض النصوص الدالة على إثبات هذه الصفة لله تعالى على ما يليق بجلاله، ولكن ابن خزيمة رحمه الله تعالى ينفي - هنا - مماثلة صورة آدم لصورة الله تعالى، وهذا حق، لكن ليس في حمل هذه النصوص على ظاهرها ما يقتضي التمثيل، كما تقدم، وكما سيأتي إن شاء الله تعالى.

(١) انظر: ص(١٢٤) من هذا البحث.

فلما أتى إلى الحديث الآخر ورأى أن هذا التأويل لا يستقيم معه ـ لأن النبي ﷺ قال ابتداءً: **(خلق الله آدم على صورته)** ـ جعل الضمير فيه عائداً إلى آدم عليه السلام.

ولما أتى إلى حديث ابن عمر رضي الله عنهما: **(لا تقبحوا الوجه، فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمن)**، ورأى أنه غير قابل للتأويل جعله ـ على فرض صحته ـ من باب إضافة الخلق إلى خالقه، كل ذلك فراراً من التشبيه.

ومما يدل على ذلك قوله ـ كما تقدم[١] ـ: «فصورة آدم ستون ذراعاً، التي أخبر النبي ﷺ أن آدم عليه السلام خلق عليها، لا على ما توهم بعض من لم يتحر العلم، فظن أن قوله: **(على صورته)**: صورة الرحمن، صفة من صفات ذاته جل وعلا عن أن يوصف بالموتان والأبشار[٢]، قد نزه الله وقدس عن صفات المخلوقين، فقال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]»[٣].

وقوله أيضاً عن هذه الأحاديث: «تأولها بعض من لم يتحر العلم على غير تأويلها، ففتن عَالَماً من أهل الجهل والغباوة، حملهم الجهل بمعنى: الخبر على القول بالتشبيه، جل وعلا عن أن يكون وجهُ خلقٍ من خلقه مثل وجهه الذي وصفه الله بالجلال والإكرام ونفى الهلاك عنه»[٤].

وقوله تعليقاً على لفظة: **(على صورة الرحمن)**: «قد افتتن بهذه اللفظة التي في خبر عطاء، عالَم ممن لم يتحر العلم، وتوهموا أن إضافة الصورة إلى الرحمن في هذا الخبر من إضافة صفات الذات فغلطوا في هذا غلطاً بيناً، وقالوا مقالة شنيعة، مضاهية لقول المشبهة، أعاذنا الله وكل المسلمين من قولهم»[٥].

---

(١) انظر: ص(١٢٠) من هذا البحث.
(٢) في بعض النسخ: «بالذرعان والأشبار». انظر: ص(١٢٠) من هذا البحث.
(٣) التوحيد (١/ ٩٤).
(٤) التوحيد (١/ ٨١).
(٥) التوحيد (١/ ٨٧).

فهذه النقول عن إمام الأئمة رَحِمَهُ اللَّهُ تؤكد أنه لجأ إلى تأويل هذا الحديث؛ لتوهمه أن حمله على ظاهره يقتضي التشبيه، فأوله تنزيهاً لله تعالى عن صفات المخلوقين.

وهذه هي الشبهة التي بنى عليها أهل الكلام مذهبهم في أسماء الله تعالى وصفاته.

ولذلك عد أهل العلم هذا التأويل من ابن خزيمة زلَّة لا يجوز أن يتابع عليها، لأن فيه خروجاً عن منهج أهل السنة والجماعة في هذا الباب، وهو: إجراء نصوص الصفات على ظاهرها دون التعرض لتأويلها، وإثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، وما أثبته له رسوله ﷺ في سنته من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تمثيل ولا تكييف، على حد قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «قال الشيخ أبو الحسن محمد بن عبد الملك الكرجي الشافعي[1] في كتابه الذي سماه (الفصول في الأصول عن الأئمة الفحول إلزاماً لذوي البدع والفضول) ـ ذكر فيه الأئمة الاثني عشر المتبوعين في العلم، وهم: الشافعي، ومالك، وسفيان الثوري، وأحمد بن حنبل، والبخاري، وسفيان بن عيينة، وعبد الله بن المبارك، والأوزاعي، والليث بن سعد، وإسحاق بن راهويه، وأبو زرعة، وأبو حاتم الرازيان[2] ـ: فأما تأويل من لم يتابعه عليه الأئمة فغير مقبول، وإن صدر

---

(١) هو محمد بن عبد الملك بن محمد بن عمر الفقيه الشافعي، شيخ الكُرْج وعالمها ومفتيها، إمام ورع مفتٍ محدث أديب، أفنى عمره في طلب العلم ونشره، له تصانيف في المذهب والتفسير، وله قصيدة مشهورة في السنة، نحو مائتي بيت، شرح فيها عقيدة السلف، توفي سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة (٥٣٢).
[انظر: العبر (٢/ ٤٤١)، وشذرات الذهب (٤/ ١٠٠)].

(٢) أبو حاتم الرازي هو: محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي الغطفاني، الإمام الحافظ الناقد، كان من بحور العلم، طوَّف البلاد، وبرع في المتن والإسناد، وجمع وصنَّف، وجرح وعدَّل، وصحح وعلَّل، وهو من نظراء=

ذلك التأويل عن إمام معروف غير مجهول نحو ما ينسب إلى أبي بكر محمد بن خزيمة تأويل الحديث: **(خلق آدم على صورته)**، فإنه يفسر ذلك بذلك التأويل، ولم يتابعه عليه من قبله من أهل الحديث لما روينا عن أحمد رحمه الله تعالى، ولم يتابعه ـ أيضاً ـ من بعده...

قلت[١]: وقد ذكر الحافظ أبو موسى المديني[٢] فيما جمعه من مناقب الإمام الملقب بقوام السنة أبي القاسم إسماعيل بن محمد التيمي صاحب كتاب: **(الترغيب والترهيب)**، قال: سمعته يقول: أخطأ محمد بن خزيمة في حديث الصورة، ولا يطعن عليه بذلك، بل لا يؤخذ عنه هذا فحسب.

قال أبو موسى: أشار بذلك إلى أنه قلَّ من إمام إلا وله زلة، فإذا ترك ذلك الإمام لأجل زلته، ترك كثير من الأئمة، وهذا لا ينبغي أن يفعل»[٣].

وقال الذهبي في ترجمة الإمام ابن خزيمة: «وكتابه في **(التوحيد)** مجلد كبير، وقد تأوَّل في ذلك حديث الصورة، فليعذر من تأوَّل بعض الصفات، وأما السلف فما خاضوا في التأويل، بل آمنوا وكفوا، وفوضوا علم ذلك إلى الله ورسوله، ولو أن كل من أخطأ في اجتهاده ـ مع صحة

= البخاري، ومن طبقته، توفي رحمه الله سنة سبع وسبعين ومائتين (٢٧٧).
[انظر: تاريخ بغداد (٢/ ٧٠)، والسير (١٣/ ٢٤٧)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٥٦٧)، وشذرات الذهب (٢/ ١٧١)].

(١) القائل: شيخ الإسلام ابن تيمية.

(٢) هو الحافظ الكبير محمد بن أبي بكر عمر بن أحمد الأصبهاني المديني، كان إمام عصره في الحفظ والمعرفة بالحديث وعلومه، وكان مع ذلك صاحب ورع وعبادة وتقى، له مصنفات عديدة منها: معرفة الصحابة، والمجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث، توفي رحمه الله سنة إحدى وثمانين وخمسمائة (٥٨١).
[انظر: وفيات الأعيان (٤/ ١٠٩)، وتذكرة الحفاظ (٤/ ١٣٣٤)، والعبر (٣/ ٨٤)، وشذرات الذهب (٤/ ٢٧٣)].

(٣) بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٤١٩، ٤٢٤ ـ ٤٣٠)، وانظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٨٨).

إيمانه وتوخيه لاتباع الحق ـ أهدرناه وبدعناه، لقلَّ من يسلم من الأئمة معنا، رحم الله الجميع بمنه وكرمه»[١].

ثم إن هذا الحديث ليس في حمله على ظاهره ما يقتضي التشبيه، بل نحن نثبته ونجريه على ظاهره مع نفي التشبيه.

قال قوام السنة إسماعيل التيمي: «فصل في الرد على الجهمية الذين أنكروا صفات الله ﷻ، وسموا أهل السنة مشبهة، وليس قول أهل السنة: إن لله وجهاً ويدين وسائر ما أخبر الله تعالى به عن نفسه موجباً تشبيهه بخلقه، وليس روايتهم حديث النبي ﷺ: **(خلق الله آدم على صورته)** بموجبه[٢] نسبة التشبيه إليهم، بل كل ما أخبر الله به عن نفسه، وأخبر به رسوله ﷺ فهو حق، قول الله حق، وقول رسوله حق، والله أعلم بما يقول، ورسوله ﷺ أعلم بما قال، وإنما علينا الإيمان والتسليم، وحسبنا الله ونعم الوكيل»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «فإن قيل: قوله ﷺ: **(خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً...)**، هذا الحديث إذا حمل على صورة الله تعالى كان ظاهره: أن الله طوله ستون ذراعاً، والله تعالى ـ كما قال ابن خزيمة ـ جل أن يوصف بالذرعان والأشبار...

قيل: ليس هذا ظاهر الحديث، ومن زعم أن هذا ظاهره، أو حمله عليه فهو مفتر كذاب ملحد، فإن فساد هذا معلوم بالضرورة من العقل والدين كما تقدم، ومعلوم أيضاً عدم ظهوره من الحديث، فإن الضمير في قوله: **(طوله)** عائد إلى آدم الذي قيل فيه: **(خلق آدم على صورته)**، ثم قال: **(طول آدم ستون ذراعاً، فلما خلقه قال له: اذهب إلى أولئك النفر من الملائكة)**.

---

(١) سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٧٤ ـ ٣٧٦).
(٢) هكذا جاءت في الكتاب ولعل الصواب (بموجبة)، والله أعلم.
(٣) الحجة في بيان المحجة (١/ ٣١٠).

فهذه الضمائر كلها عائدة إلى آدم، وهذا منها أيضاً، فلفظ الطول وقدره ليس داخلاً في مسمى الصورة، حتى يقال إذا قيل: **(خلق الله آدم على صورته)** وجب أن يكون على قدره وطوله»[١].

إذا تبين هذا وهو: وجوب حمل النص على ظاهره، وأن ظاهره لا يقتضي التشبيه، فما معنى كون آدم خلق على صورة الله تعالى؟

الجواب عن هذا أن يقال: الواجب إذا جاءت الآية من كتاب الله تعالى أو صح الحديث عن رسول الله ﷺ: الإيمان والتصديق بهما، واعتقاد ما جاء فيهما، والتسليم والانقياد لهما، ولا يجوز السؤال عن كيفية ما جاء فيهما من الصفات، فإن الله تعالى أخبرنا أنه متصف بالصفات، ولم يخبرنا عن كيفية هذه الصفات، فنَكِلُ علمها إلى الله تعالى، مع اعتقادنا أنها لا تماثل صفات المخلوقين، فالله تعالى كما قال عن نفسه: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾.

وقد عقد الإمام ابن بطة[٢] باباً بعنوان: «الإيمان بأن الله ﷻ خلق آدم على صورته بلا كيف».

ثم قال: «كل ما جاء من هذه الأحاديث، وصحت عن رسول الله ﷺ ففرض على المسلمين قبولها، والتصديق بها، والتسليم لها، وترك الاعتراض عليها، وواجب على من قبلها وصدَّق بها أن لا يضرب لها المقاييس، ولا يتحمل لها المعاني والتفاسير، ولكن تمر على ما جاءت ولا

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٥٣٤ ـ ٥٣٧) باختصار وتصرف يسير.

(٢) هو الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الفقيه الحنبلي شيخ العراق، كان عبداً صالحاً زاهداً، سمع من خلائق لا يحصون، وكان صاحب حديث ولكنه ضعيف من قبل حفظه، توفي رحمه الله سنة (٣٨٧هـ)، وله مصنف كبير في السنة سماه: الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية.
[انظر: تاريخ بغداد (١٠/ ٣٧٠)، والسير (١٦/ ٥٢٩)، والعبر (٢/ ١٧١)، وشذرات الذهب (٣/ ١٢٢)].

يقال فيها: لِمَ؟ ولا كيف؟ إيماناً وتصديقاً، ونقف من لفظها وروايتها حيث وقف أئمتنا وشيوخنا، وننتهي منها حيث انتهى بنا، كما قال المصطفى نبينا ﷺ، بلا معارضة ولا تكذيب ولا تنقير ولا تفتيش، والله الموفق وهو حسبنا ونعم الوكيل، فإن الذين نقلوها إلينا هم الذين نقلوا إلينا القرآن وأصل الشريعة، فالطعن عليهم والرد لما نقلوه من هذه الأحاديث، طعن في الدين ورد لشريعة المسلمين، ومن فعل ذلك فالله حسبه والمنتقم منه بما هو أهله»[(١)]، ثم ساق رَحِمَهُ اللَّهُ عدداً من طرق هذا الحديث.

وقال الكرجي بعد ما ساق عدداً من أحاديث الصفات، والتي منها: **(خلق الله آدم على صورته)**: «.. إلى غيرها من الأحاديث، هالتنا أو لم تهلنا، بلغتنا أو لم تبلغنا، اعتقادنا فيها وفي الآي الواردة في الصفات: أن نقبلها ولا نحرفها ولا نكيفها ولا نعطلها ولا نتأولها، وعلى العقول لا نحملها، وبصفات الخلق لا نشبهها، ولا نعمل فكرنا ورأينا فيها، ولا نزيد عليها ولا ننقص منها، بل نؤمن بها ونَكِلُ علمها إلى عالمها، كما فعل ذلك السلف الصالح، وهم القدوة لنا في كل علم»[(٢)].

وقال الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما معنى حديث الصورة فنرد علمه إلى الله ورسوله، ونسكت كما سكت السلف مع الجزم بأن الله ليس كمثله شيء»[(٣)].

وذهب بعض أهل العلم إلى أن معنى الحديث هو: بيان أن آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ خلق ذا وجه متصفاً بصفة السمع والبصر والكلام، كما أن الله تعالى كذلك، فهو مخلوق على صورة الله من هذه الحيثية، ولا يلزم من ذلك المماثلة.

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقوله: **(خلق آدم على صورة الرحمن)** لم يرد

---

(١) الإبانة (المختار ٢٤٤)، وانظر: الشريعة للآجري (٣/ ١١٥٣).
(٢) نقل ذلك عنه: ابن تيمية في مجموع الفتاوى (٤/ ١٨٥).
(٣) ميزان الاعتدال (٤/ ٩٦).

به تشبيه الرب وتمثيله بالمخلوق، وإنما أراد به تحقيق الوجه، وإثبات السمع والبصر والكلام، صفة ومحلاً والله أعلم»[١].

وقال الشيخ ابن باز رحمه الله: «والمعنى والله أعلم: أنه خلق آدم على صورته ذا وجه وسمع وبصر، يسمع ويتكلم ويبصر ويفعل ما يشاء، ولا يلزم أن يكون الوجه كالوجه، والسمع كالسمع، والبصر كالبصر... وهكذا لا يلزم أن تكون الصورة كالصورة»[٢].

ومما ينبغي التأكيد عليه والتنبيه إليه ـ هنا ـ أن كون الشيء على صورة الشيء: لا يلزم منه المماثلة بينهما من كل وجه، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «من المعلوم أن الشيئين المخلوقين قد يكون أحدهما على صورة الآخر مع التفاوت العظيم في جنس ذواتهما وقدر ذواتهما، وقد تظهر السموات والقمر في صورة ماء أو مرآة في غاية الصغر، ويقال: هذه صورتها، مع العلم بأن حقيقة السموات والأرض أعظم من ذلك بما لا نسبة لأحدهما إلى الآخر»[٣].

وقال الشيخ محمد العثيمين رحمه الله: «الذي قال: **(إن الله خلق آدم على صورته)** رسول الذي قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾، والرسول لا يمكن أن ينطق بما يكذب المرسِل.

والذي قال: **(خلق آدم على صورته)** هو الذي قال: **(إن أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر)** متفق عليه[٤]. فهل أنت تعتقد أن هؤلاء الذين يدخلون الجنة على صورة القمر من كل وجه؟!

فإن قلت بالأول: فمقتضاه أنهم دخلوا وليس لهم أعين وليس لهم آناف وليس لهم أفواه، وإن شئنا قلنا: دخلوا وهم أحجار!

---

(١) مختصر الصواعق (٢/ ٥١٥).
(٢) مجموع فتاوى ومقالات متنوعة له، جمع د/ محمد الشويعر (٦/ ٣٥٣ ـ ٣٥٤).
(٣) بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٥٣٧ ـ ٥٣٨).
(٤) من حديث أبي هريرة: البخاري (٣/ ١١٨٧) ح(٣٠٨١)، ومسلم (١٧/ ١٧٨) ح(٢٨٣٤).

وإن قلت بالثاني: زال الإشكال وتبين أنه لا يلزم من كون الشيء على صورة الشيء أن يكون مماثلاً له من كل وجه»[١].

وأما الجواب المفصل، فهو في الرد على كل تأويل على حِدَةٍ كما يلي:

أما التأويل الأول: وهو القول بإعادة الضمير على المضروب، والاستدلال له:

١ ـ بأن النبي ﷺ علل النهي عن ضرب الوجه بقوله: **(فإن الله خلق آدم على صورته)**.

٢ ـ وكذا استدلالهم بحديث: **(إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا يقل: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله ﷻ خلق آدم على صورته)**.

فهو باطل من عدة وجوه:

أحدها: أن في الصحيحين ابتداءً: **(خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً)**، وفي أحاديث أخر: **(إن الله خلق آدم على صورته)**، ولم يتقدم ذكر أحد يعود الضمير إليه[٢]، وما ذكر بعضهم[٣] من أن النبي ﷺ

---

(١) شرح العقيدة الواسطية (١/ ١٠٨ ـ ١٠٩).

(٢) وهذا ظاهر في هذه الأحاديث، وأما ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية ـ كما في بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٤٤٢ ـ ٤٤٣) ـ من أن حديث: (إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)، وحديث: (لا يقولن أحدكم: قبح الله وجهك، ووجهاً أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته): ليس فيها ذكر أحد يصلح عود الضمير إليه، لأنه لم يتقدم فيها ذكر مضروب، فإنه يشكل عليه، أن الحديث الأول جاء بلفظ ـ كما عند مسلم ـ: (إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه...) فقوله: (أخاه) يصلح عود الضمير إليه.

وكذلك الحديث الثاني جاء بلفظ ـ كما عند ابن خزيمة في التوحيد (١/ ٨٢) ـ: (لا يقولن أحدكم لأحد: قبح الله وجهك...) فقوله: (لأحد) يصلح عود الضمير إليه.

وقد بنى شيخ الإسلام ﷺ على قوله هذا ثلاثة أوجه في الرد على هذا التأويل، أعرضت عنها لهذا السبب، وفي بقية الأوجه ما يكفي ويشفي، والله أعلم.

(٣) كابن فورك في مشكل الحديث (٤٦).

رأى رجلاً يضرب رجلاً ويقول: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فقال: **(خلق الله آدم على صورته)** أي: على صورة هذا المضروب، فهذا شيء لا أصل له، ولا يعرف في شيء من كتب الحديث[1].

الوجه الثاني: أن ذرية آدم خُلِقُوا على صورة آدم، لم يُخْلَق آدم على صورهم، فالثاني المتأخر في الوجود خُلِقَ على صورة الأول المتقدم وجوده، وهذا ظاهر، ولا يجوز أن يقال: خُلِقَ الأول على صورة الثاني المتأخر في الوجود كما هو مقتضى هذا التأويل... فإنه إذا قيل: خُلِقَ الولد على صورة أبيه أو على خَلْقِ أبيه، كان كلاماً سديداً، وإذا قيل: خُلِقَ الوالد على صورة ولده أو على خَلْقِه كان كلاماً فاسداً، بخلاف ما إذا ذكر التشبيه بغير لفظ الخلق وما يقوم مقامه، مثل أن يقال: الوالد يشبه ولده، فإن هذا سائغ لأن قوله: خلق، إخبار عن تكوينه وإبداعه على مثال غيره، ومن الممتنع أن الأول يكون على مثال من لم يكن بعد، وإنما يكون على مثال من قد كان.

الوجه الثالث: أن يقال: هب أن هذه العلة تصلح لقوله: **(لا يقولن أحدكم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك)**، فكيف تصلح لقوله: **(إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه؟)** فمعلوم أن كون صورته تشبه صورة آدم لا توجب سقوط العقوبة عنه، فإن الإنسان لو كان يشبه نبياً من الأنبياء أعظم من مشابهة الذرية لأبيهم في مطلق الصورة والوجه، ثم وجبت على ذلك الشبيه بالنبي عقوبة، لم تسقط عقوبته لهذا الشبه باتفاق المسلمين، فكيف يجوز تعليل تحريم العقوبة بمجرد المشابهة المطلقة لآدم؟.

الوجه الرابع: أن في ذرية آدم من هو أفضل من آدم، وتناول اللفظ لجميعهم واحد، فلو كان المقصود بالخطاب ليس ما يختص به آدم من ابتداء خلقه على صورة، بل المقصود مجرد مشابهة المضروب والمشتوم له،

---

(١) انظر: تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة (٢٠٥).

لكان ذكر سائر الأنبياء والمرسلين بالعموم هو الوجه، وكان تخصيص غير آدم بالذكر أولى، كإبراهيم وموسى وعيسى ـ وإن كان آدم أباهم ـ فليس هذا المقام مقاماً له به اختصاص على زعم هؤلاء[١].

الوجه الخامس: وهو قاطع أيضاً أن يقال: كون الوجه يشبه وجه آدم، مثل كون سائر الأعضاء تشبه أعضاء آدم، فإن رأس الإنسان يشبه رأس آدم، ويده تشبه يده، ورجله تشبه رجله، وبطنه وظهره وفخذه وساقه يشبه بطن آدم وظهره وفخذه وساقه، فليس للوجه بمشابهة آدم اختصاص، بل جميع أعضاء البدن بمنزلته في ذلك، فلو صح أن يكون هذا علة لمنع الضرب، لوجب أن لا يجوز ضرب شيء من أعضاء بني آدم؛ لأن ذلك جميعه على صورة أبيهم آدم، وفي إجماع المسلمين على وجوب ضرب هذه الأعضاء في الجهاد للكفار والمنافقين وإقامة الحدود، مع كونها مشابهة لأعضاء آدم وسائر النبيين دليل على أنه لا يجوز المنع من ضرب الوجه ولا غيره لأجل هذه المشابهة.

الوجه السادس: أنه لو كان علة النهي عن شتم الوجه وتقبيحه أنه يشبه وجه آدم، لَنُهِيَ ـ أيضاً ـ عن الشتم والتقبيح لسائر الأعضاء، فيقال مثلاً: لا يقولنَّ أحدكم: قطع الله يدك، ويد من أشبه يدك...

الوجه السابع: أنه قد روي من غير وجه **(على صورة الرحمن)**[٢]، وهذا نص صريح في عود الضمير على الله تعالى، وإبطال عوده على المضروب.

ـ وأما دليلهم الثالث وهو: أن حمل اللفظ على ظاهره يقتضي التشبيه، فقد تقدمت الإجابة عنه بما يغني عن إعادته.

وأما التأويل الثاني: وهو القول: بإعادة الضمير إلى آدم عليه السلام،

---

(١) انظر: إبطال التأويلات (١/ ٨٥).

(٢) انظر في هذه الوجوه: بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٤٤٢ ـ ٤٤٩).

والاستدلال له بحديث: **(خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً...)**.

فقد رده ابن قتيبة رحمه الله فقال: «قال قوم من أصحاب الكلام: أراد خلق آدم على صورة آدم، لم يزد على ذلك.

ولو كان المراد هذا، ما كان في الكلام فائدة، ومن يشك في أن الله تعالى خلق الإنسان على صورته، والسباع على صورها، والأنعام على صورها؟!

وقال قوم: إن الله تعالى خلق آدم على صورة عنده، وهذا لا يجوز؛ لأن الله ﷻ لا يخلق شيئاً من خلقه على مثال»[(١)].

كما رده شيخ الإسلام ابن تيمية من عدة وجوه، فقال رحمه الله: «وأما قول من قال: الضمير عائد إلى آدم كما ذُكر ذلك للإمام أحمد عن بعض محدثي البصرة ويذكر ذلك عن أبي ثور، فهو كما قال الإمام أحمد: هذا تأويل الجهمية، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه[(٢)].

وقد زعم المؤسس[(٣)] أنه أولى الوجوه الثلاثة، وليس كما ذكره، بل هو أفسد الوجوه الثلاثة، ولهذا لم يعدل إليه ابن خزيمة إلا عند الضرورة لرواية من روى **(على صورة الرحمن)**، ولقوله ابتداءً: **(إن الله خلق آدم على صورته)**، فأما حيث ظن أن التأويل الأول ممكن فلم يقل هذا.

وبيان فساده من وجوه:

أحدها: أنه إذا قيل: إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه فإن الله خلق آدم على صورة آدم، أو: لا تقبحوا الوجه ولا يقل أحدكم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك فإن الله خلق آدم على صورة آدم. كان هذا من أفسد

---

(١) تأويل مختلف الحديث (٢٠٤)، وانظر ـ أيضاً ـ في الرد على هذا التأويل: إبطال التأويلات (١/ ٦٩ ـ ٧٣).

(٢) انظر: ص(١٢٤) من هذا البحث.

(٣) المؤسس هو الرازي نسبةً إلى كتابه: «أساس التقديس»، وكلامه هذا تقدم في ص(١٢٠) هامش (٢).

الكلام، فإنه لا يكون بين العلة والحكم مناسبة أصلاً، فإن كون آدم مخلوقاً على صورة آدم، فأي تفسير فُسر ليس في ذلك مناسبة للنهي عن ضرب وجوه بنيه ولا عن تقبيحها وتقبيح ما يشبهها، وإنما دخل التلبيس بهذا التأويل حيث فُرِّقَ الحديث فروي قوله: **(إذا قاتل أحدكم فليتق الوجه)** مفرداً، وروي قوله: **(إن الله خلق آدم على صورته)** مفرداً، أما مع أداء الحديث على وجهه فإن عود الضمير إلى آدم يمتنع فيه، وذلك أن خلق آدم على صورة آدم سواء كان فيه تشريف لآدم أو كان فيه إخبار مجرد بالواقع، فلا يناسب هذا الحكم.

الوجه الثاني: أن الله خلق سائر أعضاء آدم على صورة آدم، فلا فرق بين الوجه وسائر الأعضاء في هذا الحكم، فلو كان خلق آدم على صورة آدم مانعاً من ضرب الوجه أو تقبيحه، لوجب أن يكون مانعاً من ضرب سائر الأعضاء وتقبيح سائر الصور، وهذا معلوم الفساد في العقل والدين وتعليل الحكم الخاص بالعلة المشتركة من أقبح الكلام، وإضافة ذلك إلى النبي ﷺ لا يصدر إلا عن جهل عظيم أو نفاق شديد، إذ لا خلاف في علمه وحكمته، وحسن كلامه وبيانه.

الوجه الثالث: أن هذا تعليل للحكم بما يوجب نفيه، وهذا من أعظم التناقض، وذلك أنهم تأولوا الحديث على أن آدم لم يخلق من نطفة وعلقة ومضغة، وعلى أنه لم يتكون في مدة طويلة بواسطة العناصر، وبنوه قد خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وخلقوا في مدة من عناصر الأرض[1]، فإن كانت العلة المانعة من ضرب الوجه وتقبيحه كونه خلق على ذلك الوجه ـ وهذه العلة منتفية في بنيه ـ فينبغي أن يجوز ضرب وجوه بنيه وتقبيحها لانتفاء العلة فيها وهي: أن آدم هو الذي خلق على صورته دونهم، إذ هم لم يخلقوا ـ كما خلق آدم ـ على صورهم التي هم عليها، بل نقلوا من نطفة إلى علقة إلى مضغة.

---

(١) انظر كلام الخطابي: ص(١٢٠ ـ ١٢١) من هذا البحث.

الوجه الرابع: ما أبطل به الإمام أحمد هذا التأويل حيث قال: من قال: إن الله خلق آدم على صورة آدم فهو جهمي، وأي صورة كانت لآدم قبل أن يخلقه؟ وهذا الوجه الذي ذكره الإمام أحمد يعم الأحاديث، يعم قوله ابتداءً: **(إن الله خلق آدم على صورته طوله ستون ذراعاً)**، ويعم قوله: **(لا تقبحوا الوجه)**، **(وإذا ضرب أحدكم فليتق الوجه فإن الله خلق آدم على صورته)**، وذلك أن قوله: **(خلق الله آدم على صورته)** يقتضي أنه كان له صورة قبل الخلق خلقه عليها، فإن هذه العبارة لا تستعمل إلا في مثل ذلك.

وبمثل هذا أبطلنا قول من يقول: إن الضمير عائد إلى المضروب، فإن المضروب متأخر عن آدم ولا يجوز في مثل هذا الكلام أن تكون الصورة التي خُلِقَ عليها آدمُ متأخرةً عن حين خلقه، سواء كانت هي صورته أو صورة غيره... فمن المعلوم بالضرورة أنه لم تكن لآدم صورة خلق عليها قبل صورته التي خلقها الله تعالى[1].

الوجه الخامس: أن جميع ما يذكر من التأويل كقول القائل: خلق آدم على صورة آدم، موجود نظيره في جميع المخلوقات، فإنه إن أريد بذلك على صورتها الثابتة في القدر في علم الله وكتابه، أي: على صفتها التي هي عليها أو غير ذلك، فهذا موجود نظيره في سائر المخلوقات من السموات والأرض وما بينهما من الملائكة والجن والبهائم، بل وذرية آدم كذلك فإنهم خلقوا على صورهم، كما يذكرونه في معنى قولهم: خلق الله آدم على صورة آدم، فإن كون آدم على صورته يعني شبحاً موجوداً في صور هذه الأمور.

وأما كونه خلق على هذه الصورة ابتداءً أو في غير مدة، فإنه لم يخلق إلا من حال إلى حال من التراب ثم من الطين ثم من الصلصال، كما خلق

---

(١) لأن التصوير إنما يكون بعد الخلق لا قبله كما قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾﴾ [سورة الأعراف، آية: (١١)].

بنوه من النطفة ثم العلقة ثم المضغة، فلا منافاة في الحقيقة بين الأمرين، فإذا جاز أن يقال في أحدهما: إنه خلق على صورته مع تنقله في هذه الأطوار، جاز أن يقال في الآخر: إنه خلق على صورته مع تنقله في هذه الأطوار، وإذا كان كذلك ـ ومن المعلوم بالاتفاق أن قوله: **(خلق آدم على صورته)** هي من خصائص آدم، وإن كان بنوه تبعاً له في ذلك كما خلقه الله بيديه وأسجد له ملائكته ـ علم بطلان ما يوجب الاشتراك ويزيل الاختصاص.

الوجه السادس: أن المعنى الذي تدل عليه هذه العبارة التي ذكروها هو من الأمور المعلومة ببديهة العقل التي لا يحسن بيانها والخطاب بها لتعريفها، بل لأمر آخر فإن قول القائل: إن الشيء الفلاني خلق على صورة نفسه، لا يدل لفظه على غير ما هو معلوم بالعقل، لأن كل مخلوق فإنه خلق على الصورة التي خلق عليها، وهذا المعنى مثل أن يقال: أوجد الله الشيء كما أوجده، وخلق الله الأشياء على ما هي عليه وعلى الصورة التي هي عليها، ونحو ذلك مما هو معلوم ببديهة العقل، ومعلوم أن بيان هذا وإيضاحه قبيح جداً.

الوجه السابع: أن الحديث روي من وجوه بألفاظ تبطل عود الضمير إلى آدم مثل قوله: **(لا تقبحوا الوجه فإن الله خلق آدم على صورة الرحمن)**، وقوله في الطريق الآخر من حديث أبي هريرة: **(إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، فإن صورة الإنسان على صورة الرحمن)**»[1].

وأما قول أصحاب هذا التأويل: إن حمل الحديث على ظاهره يقتضي التشبيه! فقد تقدمت الإجابة عنه.

وأما القول الثالث: وهو القول بإعادة الضمير إلى الله تعالى، وجعل إضافة الصورة إلى الله تعالى من باب إضافة المخلوق إلى خالقه، فهو باطل من عدة وجوه أيضاً:

---

(١) بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٤٥٠ ـ ٤٥٧) باختصار وتصرف يسير.

أحدها: أنه لم يكن قبل خلق آدم صورة مخلوقة خلق آدم عليها، فقول القائل: على صورة مخلوقة لله ـ وليس هناك إلا صورة آدم ـ بمنزلة قوله: على صورة آدم، وقد تقدم إبطال هذا من وجوه كثيرة.

الوجه الثاني: أن إضافة المخلوق جاءت في الأعيان القائمة بنفسها كالناقة والبيت والأرض والفطرة التي هي المفطورة، فأما الصفات القائمة بغيرها مثل العلم والقدرة والكلام والمشيئة، إذا أضيفت كانت إضافة صفة إلى موصوف، وهذا هو الفرق بين الأمرين، وإلا التبست الإضافة التي هي إضافة صفة إلى موصوف، والتي هي إضافة مملوك ومخلوق إلى المالك والخالق، وذلك هو ظاهر الخطاب في الموضعين، لأن الأعيان القائمة بنفسها قد علم المخاطبون أنها لا تكون قائمة بذات الله، فيعلمون أنها ليست إضافة صفة، وأما الصفات القائمة بغيرها فيعلمون أنه لا بد لها من موصوف تقوم به وتضاف إليه، فإذا أضيفت علم أنها أضيفت إلى الموصوف التي هي قائمة به، وإذا كان كذلك فالصورة قائمة بالشيء المصور، فصورة الله كوجه الله ويد الله وعلم الله وقدرة الله ومشيئة الله وكلام الله، يمتنع أن تقوم بغيره.

الوجه الثالث: أن سائر الأعضاء مشاركة للصورة التي هي الوجه في كون الله خلق ذلك جميعه، فينبغي أن يضاف سائر الأعضاء إلى الله بهذا الاعتبار، حتى يقال: يد الله ووجه الله وقدمه ونحو ذلك، لأن الله قد خلقها؟!.

الوجه الرابع: أن قوله: **(إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته)**، لو كانت الإضافة فيه إضافة خلق وملك لوجب ألا يضرب شيء من الأعضاء، لأن إضافته إلى خلق الله وملكه كإضافة الوجه سواء.

الوجه الخامس: أن هذا الوجه المضروب هو في كونه مخلوقاً مملوكاً لله، بمنزلة الصورة المملوكة لله، فلو كان قد نهي عن ضرب

هذا[١] لكونه ذاك[٢]، لكان هذا التشبيه من باب العبث، لأن العلة في المشبه به، مثل من يقول لأحد بنيه: إنما أكرمتك لأنك مثل ابني الآخر في معنى البنوة، أو يقول لعبده: إنما أعطيتك لأنك مثل عبدي الآخر في معنى العبودية، وهما مشتركان في هذا.

الوجه السادس: أنه من المعلوم أن جميع ما يضرب ويشتم من الموجودات، هو مخلوق مملوك لله، وهذا يوجب ألا يضرب مخلوق ولا يشتم مخلوق.

الوجه السابع: أن قوله: **(لا يقولن أحدكم: قبح الله وجهك ووجه من أشبه وجهك، فإن الله خلق آدم على صورته)** يدل على أن المانع هو مشابهة وجهه لصورة الله، فلو أريد صورة يخلقها الله، لكان كونه هو في نفسه مخلوقاً لله أبلغ من كونه مشبِهاً لما خلقه الله، فيكون عدولاً عن التعليل بالعلة الكاملة إلى ما يشبهها.

الوجه الثامن: أن العلم بأن الله خلق آدم هو من أظهر العلوم عند العامة والخاصة، فإذا لم يكن في قوله: **(على صورته)** معنى، إلا أنها الصورة التي خلقها وهي ملكه، لكان قوله: خلق آدم، كافياً، لأن قوله: خلق آدم، و**(خلق آدم على صورته)** سواء على هذا التقدير، وإن ادُعي أن في الإضافة بمعنى الخلق تخصيصاً، فكذلك يكون في لفظ خلق[٣].

وأما القول الرابع: وهو المروي عن الإمام مالك في إنكار حديث: **(إن الله خلق آدم على صورته)** والنهي عن التحديث به، والقدح في بعض رواته، كابن عجلان وأبي الزناد.

فالجواب عنه ما ذكره الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ، حيث قال بعد ما ساق الرواية عن الإمام مالك في إنكاره الحديث: «قلت: الحديث في أن الله خلق آدم

---

(١) أي: الوجه.
(٢) أي: مخلوقاً لله كالصورة.
(٣) انظر في هذه الوجوه: بيان تلبيس الجهمية، القسم السادس (٢/ ٥٤٠ ـ ٥٤٦).

على صورته، لم ينفرد به ابن عجلان، فقد رواه همام عن قتادة، عن أبي موسى أيوب، عن أبي هريرة[١].

- ورواه شعيب وابن عيينة، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة[٢].
- ورواه معمر عن همام، عن أبي هريرة[٣].
- ورواه جماعة كالليث بن سعد وغيره عن ابن عجلان، عن المقبري، عن أبي هريرة[٤].
- ورواه شعيب ـ أيضاً ـ وغيره عن أبي الزناد، عن موسى بن أبي عثمان، عن أبي هريرة[٥].

---

(١) هو حديث: (إذا قاتل أحدكم أخاه فليجتنب الوجه، فإن الله خلق آدم على صورته) أخرجه مسلم (١٦/ ٤٠٤) ح(٢٦١٢)، ولكن ليس فيه ذكر (لأبي موسى أيوب) كما ذكره الذهبي وإنما فيه: أبو أيوب، وهو كذلك عند مسلم أيضاً، والبيهقي في الأسماء والصفات (٢/ ٦٢) من طريق المثنى بن سعيد عن قتادة عن أبي أيوب عن أبي هريرة.

(٢) هو حديث: (إذا قاتل أحدكم...) المتقدم، ولكن هذا الإسناد عند الإمام أحمد (١٢/ ٢٧٥) ح(٧٣٢٣)، وفيه بدل (قاتل): (ضرب).

(٣) هو حديث: (خلق الله آدم على صورته، طوله ستون ذراعاً...) متفق عليه، وقد تقدم ص(١١٤).

(٤) هو حديث: (إذا ضرب أحدكم فليجتنب الوجه، ولا يقل قبح الله وجهك، ووجهٌ من أشبه وجهك، فإن الله ﷻ خلق آدم على صورته)، وقد تقدم ص(١١٧ ـ ١١٨).

(٥) هو حديث: (إن الله ﷻ خلق آدم على صورته، وطوله ستون ذراعاً) هكذا مختصراً، أخرجه الإمام أحمد في المسند (١٤/ ٤٥) ح(٨٢٩١)، وابن خزيمة في التوحيد (١/ ٩٢) ح(٤٣)، وفيهما: «عن موسى بن أبي عثمان عن أبيه عن أبي هريرة». فأبو عثمان هو الراوي عن أبي هريرة، وقد سقط من الإسناد الذي ذكره الذهبي.
وأخرج هذا الحديث ـ أيضاً ـ عبد الله بن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٤٧٩) ح(١١٠٠) من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة.

- ورواه جماعة عن ابن لهيعة، عن الأعرج وأبي يونس، عن أبي هريرة[١].
- ورواه جرير عن الأعمش، عن حبيب بن أبي ثابت، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ[٢].

وله طرق أخر... وهو مخرج في الصحاح.

وأبو الزناد[٣] فعمدة في الدين، وابن عجلان[٤] صدوق من علماء المدينة وأجلائهم ومفتيهم، وغيره أحفظ منه»[٥].

وقد اعتُذر للإمام مالك رحمه الله بأنه نهى عن التحديث بهذا الحديث: خشية أن يقع بعض الجهال بتشبيه الله تعالى بخلقه، فنهيه عن التحديث به من باب سد الذريعة، وقد روى مسلم في مقدمة صحيحه عن عبد الله بن مسعود أنه قال: «ما أنت بمحدث قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم، إلا كان

---

(١) هو حديث: (من قاتل فليجتنب الوجه، فإن صورة وجه الإنسان على صورة وجه الرحمٰن)، وقد تقدم ص(١٣٣).

(٢) هو حديث: (لا تقبحوا الوجه، فإن ابن آدم خلق على صورة الرحمٰن)، وقد تقدم ص(١٢٦).

(٣) هو عبد الله بن ذكوان، قال فيه يحيى بن معين: ثقة حجة، وقال أبو حاتم: ثقة فقيه حجة صاحب سنة، وقال البخاري: أصح أحاديث أبي هريرة: أبو الزناد عن الأعرج عنه، وقال الذهبي: انعقد الإجماع على أن أبا الزناد ثقة رضي. [انظر: ميزان الاعتدال (٤/ ٩٤ ـ ٩٦)، والسير (٥/ ٤٤٥ ـ ٤٤٩)]، وقال ابن حجر في تقريب التهذيب (١/ ٤٩٠) عن أبي الزناد: «ثقة فقيه».

(٤) هو محمد بن عجلان القرشي، قال الذهبي في السير (٦/ ٣٢٠): «وثق ابنَ عجلان: أحمد بن حنبل ويحيى بن معين، وحدث عنه شعبة ومالك، وهو حسن الحديث»، وقال أيضاً في (٦/ ٣٢٢): «فحديثه إن لم يبلغ رتبة الصحيح، فلا ينحط عن رتبة الحسن، والله أعلم».
وقال الحافظ ابن حجر في التقريب (٢/ ١١٢): «صدوق، إلا أنه اختلطت عليه أحاديث أبي هريرة».

(٥) ميزان الاعتدال (٤/ ٩٥ ـ ٩٦)، وانظر: السير (٥/ ٤٥٠) (٦/ ٣٢٠).

لبعضهم فتنة»[١].

قال الإمام ابن عبد البر[٢]: «وإنما كره ذلك مالك، خشية الخوض في التشبيه بكيف هاهنا»[٣].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «... على أن علماء الأمة لم تنكر إطلاق القول: بأن الله خلق آدم على صورة الرحمن، بل كانوا متفقين على إطلاق مثل هذا.

وكراهة بعضهم لرواية ذلك في بعض الأوقات له نظائر، فإن الشيء قد يمنع سماعه لبعض الجهال، وإن كان متفقاً عليه بين علماء المسلمين»[٤].

ومما يؤيد ذلك ما ذكره الحافظان ابن عبد البر وابن حجر عليهما رحمة الله من أن الإمام مالكاً كان يكره التحديث بأحاديث الصفات[٥]، والله تعالى أعلم.

وهذا الاعتذار متوجه في نهيه عن التحديث بهذا الحديث، وأما إنكاره له فغير متوجه فيه، لأنه لا يليق بإمام دار الهجرة أن ينكر حديثاً صحيحاً من أجل سد الذريعة، فإن هذا لا يجوز.

---

(١) مسلم (١/ ١٩١)

(٢) هو الإمام العلامة حافظ المغرب شيخ الإسلام أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النَّمَري الأندلسي القرطبي المالكي، صاحب التصانيف الفائقة، أدرك الكبار، وطال عمره وعلا سنده، وتكاثر عليه الطلبة، وخضع لعلمه علماء الزمان، وكان في أصول الديانة على مذهب السلف فلم يدخل في علم الكلام، توفي رحمه الله سنة (٤٦٣هـ)، وله مصنفات عديدة منها: الاستذكار، والتمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد.
[انظر: وفيات الأعيان (٥/ ٤٢٨)، والسير (١٨/ ١٥٣)، والعبر (٢/ ٣١٦)، وشذرات الذهب (٣/ ٣١٤)].

(٣) التمهيد (٧/ ١٥٠).

(٤) عقيدة أهل الإيمان (٧٤).

(٥) انظر: التمهيد (٧/ ١٥٠)، والفتح (١/ ٢٢٥)، وعقيدة أهل الإيمان (١٠).

فالنهي عن التحديث بالحديث ـ في بعض الأوقات أو الأماكن ـ شيء، وإنكاره شيء آخر، ولذلك جزم الذهبي رحمه الله تعالى بأن إنكار مالك لهذا الحديث لأنه لم يثبت عنده[١]، ويؤيد ذلك أنه قدح في بعض رواته، والله أعلم.

وقد طعن الألباني في صحة هذه الرواية عن الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ، لضعف مقدام بن داود شيخ العقيلي، والذي ساق العقيلي هذه القصة من طريقه، فقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «مقدام هذا... مُتَكَلَّم فيه، بل قال النسائي[٢] فيه: **(ليس بثقة)**، فلا يجوز أن ينسب بروايته إلى الإمام مالك أنه أنكر حديثاً صحيحاً»[٣].

ولكن هذه القصة لم ينفرد بها مقدام، فقد ساقها ابن عدي رَحِمَهُ اللَّهُ من طريق آخر عن أبي زيد بن أبي الغمر، عن ابن القاسم، عن الإمام مالك[٤] رَحِمَهُ اللَّهُ، فهذه المتابعة من ابن عدي يعتضد بها طريق العقيلي.

وذكرها ـ أيضاً ـ حافظ المغرب ابن عبد البر عن أُصْبُغ بن الفرج، وعيسى بن مثرود، عن ابن القاسم[٥]، ولم يتعقبها بتضعيف، بل اعتذر له بأنه كره ذلك خشية الخوض بالتشبيه ـ كما تقدم ـ مع أن ابن عبد البر يعتبر

---

(١) انظر: السير (٨/ ١٠٤)، وسيأتي نقل كلامه هذا قريباً.

(٢) هو الإمام الحافظ الثبت شيخ الإسلام، ناقد الحديث، أبو عبد الرحمٰن أحمد بن شعيب بن علي بن سنان الخرساني النسائي صاحب السنن، كان من بحور العلم مع الفهم والإتقان وحسن التأليف، ومن مؤلفاته: عمل اليوم والليلة، والضعفاء، توفي رَحِمَهُ اللَّهُ سنة ثلاث ومائة (١٠٣).
[انظر: وفيات الأعيان (١/ ٩٧)، والسير (١٤/ ١٢٥)، وتذكرة الحفاظ (٢/ ٦٩٨)، وتقريب التهذيب (١/ ٣٦)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٣٩)].

(٣) سلسلة الأحاديث الضعيفة (٣/ ٣٢٠)، وطعن في صحتها أيضاً الشيخ حمود التويجري رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: عقيدة أهل الإيمان (٩).

(٤) انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ١٠٣).

(٥) انظر: التمهيد (٧/ ١٥٠).

من محققي المذهب المالكي، ولذا فهو يتحرى الدقة فيما ينقل عن إمام المذهب، فهذا الصنيع منه يشعر بإقراره لهذه القصة، والله أعلم.

كما ذكر هذه القصة ـ أيضاً ـ الذهبي من طريق ابن عدي مقراً لها، وعلق عليها بقوله: «قلت: أنكر الإمام ذلك، لأنه لم يثبت عنده، ولا اتصل به، فهو معذور»[1].

فهذه القصة رواها أربعة عن عبد الرحمن بن القاسم رحمه الله وهم:

١ ـ أبو زيد بن أبي الغمر، كما عند العقيلي وابن عدي.

٢ ـ الحارث بن مسكين، كما عند العقيلي.

٣ ـ أُصْبُغ بن الفرج، كما ذكر ذلك ابن عبد البر في التمهيد.

٤ ـ عيسى بن مثرود، كما ذكر ذلك ابن عبد البر في التمهيد.

فالطعن فيها غير متوجه، وإنكار الإمام مالك محمول على ما ذكره الذهبي من أن هذا الحديث لم يثبت عنده، والله أعلم.

(١) السير (٨/ ١٠٤).

المطلب الرابع

في بيان معنى قوله ﷺ:
(فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون)

جاء في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن ناساً قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: **(هل تُضَارُّون في رؤية القمر ليلة البدر؟)** قالوا: لا يا رسول الله، قال: **(هل تُضَارُّون في الشمس ليس دونها سحاب؟)** قالوا: لا يا رسول الله، قال: **(فإنكم ترونه كذلك، يجمع الله الناس يوم القيامة، فيقول: من كان يعبد شيئاً فليتبعه، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت الطواغيت، وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا جاء ربنا عرفناه، فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا فيتبعونه، ويضرب الصراط...)**.

قال عطاء بن يزيد: وأبو سعيد الخدري مع أبي هريرة لا يَرُدُّ عليه من حديثه شيئاً، حتى إذا حدث أبو هريرة أن الله قال لذلك الرجل: **(ومثله معه)**، قال أبو سعيد: وعشرة أمثاله معه يا أبا هريرة، قال أبو هريرة: ما حفظت إلا قوله: **(ذلك لك ومثله معه)**، قال أبو سعيد: أشهد أني حفظت من رسول الله ﷺ قوله: **(ذلك لك وعشرة أمثاله)**، قال أبو هريرة: وذلك الرجل آخر أهل الجنة دخولاً الجنة[1].

---

(١) متفق عليه: البخاري في مواضع: في كتاب الرقاق، باب: الصراط جسر جهنم=

وجاء معناه ـ أيضاً ـ في الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن ناساً في زمن رسول الله ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ: **(نعم قال: هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحواً ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحواً ليس فيها سحاب؟)** قالوا: لا يا رسول الله **(قال: ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: ليتبع كل أمة ما كانت تعبد فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبقَ إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغُبَّرِ أهل الكتاب، فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم أَلَا تَرِدُون، فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فيقولون: عطشنا ياربنا فاسقنا، قال: فيشار إليهم أَلَا تَرِدُون، فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضاً، فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبقَ إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين ﷻ في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فما تنتظرون تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئاً مرتين أو ثلاثاً، حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب، فيقول:**

= (٥/ ٢٤٠٣) ح(٦٢٠٤)، وفي كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ (٦/ ٢٧٠٤) ح(٧٠٠٠)، وفي كتاب صفة الصلاة، باب: فضل السجود (١/ ٢٧٧) ح(٧٧٣) لكن ليس فيه لفظ الصورة، ومسلم ـ واللفظ له ـ في كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية (٣/ ٢١) ح(١٨٢).

هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة[١]، فقال: أنا ربكم فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر على جهنم...)[٢].

وفي رواية للبخاري: **(فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة...)[٣].**

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أما هذا الخبر ـ في الجملة ـ فهو متواتر عند أهل العلم بالحديث، ورواته ـ من التابعين وأتباعهم ـ من أجل الأمة قدراً في العلم والدين، وهو معروف عن عدد من الصحابة»[٤].

وقال أيضاً: «هذان الحديثان من أصح الأحاديث»[٥].

وقال عن الحديث الأول: «فهذا الحديث من أصح حديث على وجه الأرض»[٦].

هذه الأحاديث تدل دلالةً واضحة على إثبات الصورة لله تعالى ـ كما

---

(١) قوله: **(وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة)** ليس في البخاري.

(٢) متفق عليه: البخاري في مواضع: في كتاب التفسير، باب: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (٤/ ١٦٧١) ح(٤٣٠٥)، وفي كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ (٦/ ٢٧٠٦) ح(٧٠٠١).
ومسلم واللفظ له: كتاب الإيمان، باب: معرفة طريق الرؤية (٣/ ٣٠) ح(١٨٣).

(٣) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب: قول الله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝٢٣﴾ (٦/ ٢٧٠٦) ح(٧٠٠١).

(٤) بيان تلبيس الجهمية، القسم السابع، تحقيق د/ محمد البريدي (١/ ٧٣).

(٥) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٣٢).

(٦) مجموع الفتاوى (٦/ ٤٩٣).

تقدم في المطلب الثالث ـ والغرض من سياقها هنا هو بيان معنى قوله ﷺ: **(فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون)** وأنه على ظاهره، فهو يدل على أنهم رأوه رؤية متقدمة على هذه الرؤية في غير هذه الصورة، وقد جاء هذا المفهوم صريحاً في رواية البخاري: **(فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة)**.

كما تدل هذه الأحاديث على أن الله تعالى هو نفسه الذي يتحول من صورة إلى صورة، كما هو صريح رواية مسلم: **(وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة)**.

وتدل ـ أيضاً ـ على أن رؤية المؤمنين لربهم تتكرر في ذلك الموقف[1]، وأن الله تعالى أتاهم ثلاث مرات في صور متغايرة:

---

(١) كما أنهم يرونه بعد ذلك في الجنة ـ على ما جاءت به نصوص الكتاب والسنة ـ لكن هذه الرؤية تختلف عن رؤيته تعالى في الموقف، لأن رؤية الجنة رؤية لذة ونعيم فهي أعلى مراتب نعيم الجنة، وغاية مطلوب المؤمنين، بخلاف رؤيته في عرصات القيامة فإنها ليست من النعيم والثواب. [انظر: التوحيد لابن خزيمة (٢/ ٤٢٠)، وبيان تلبيس الجهمية، القسم السابع (١/ ١٢٢)، ومجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٥)].

وهل الرؤية في عرصات القيامة عامةً، فيراه أهل الموقف كلهم بما في ذلك الكفار؟ في هذا اختلف أهل العلم على ثلاثة أقوال:

الأول: أن الكفار لا يرون ربهم بحال لا المظهر للكفر ولا المسر له، وهذا قول أكثر العلماء المتأخرين وعليه يدل عموم كلام المتقدمين، وعليه جمهور أصحاب الإمام أحمد وغيرهم.

والثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها، وغبرات من أهل الكتاب، وذلك في عرصة القيامة، ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك، وهذا قول أبي بكر بن خزيمة من أهل السنة، وذكر نحوه القاضي أبو يعلى.

والثالث: أن جميع الخلائق يرون ربهم في عرصات القيامة بما في ذلك الكفار، وذلك في أول الأمر، وتكون رؤية الكفار لربهم رؤية تعريف وتعذيب ـ كاللص إذا رأى السلطان ـ ثم يحتجب الله عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم، ثم يراه=

الأولى: وهي التي عرفوه فيها، ويدل عليها قوله ﷺ في الروايات المتقدمة: (... **التي رأوه فيها أول مرة**)، وكذا قوله: (**فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون**)، فإن هذه المعرفة تدل على رؤية متقدمة على هذه الرؤية في غير هذه الصورة.

= المسلمون بمن معهم من المنافقين، ثم بعد ذلك يتميز المؤمنون، وهم الذين يرونه رؤية تنعم، وإلى هذا القول ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية وتلميذه ابن القيم عليهما رحمة الله.
[انظر: هذه الأقوال وأدلتها في: مجموع الفتاوى (٦/ ٤٨٧)، وما بعدها، و(٦/ ٤٦٦)، وبيان تلبيس الجهمية، القسم السابع (١/ ١٢٢ ـ ١٢٣)، و(١/ ١٠٩)، وما بعدها، وحادي الأرواح (٣٦٣ ـ ٣٦٤)، والتوحيد لابن خزيمة (٢/ ٤٢٩ ـ ٤٣٣)].
وقد أشار شيخ الإسلام ابن تيمية ـ وهو ممن يرجح القول الثالث ـ إلى أمور تجب مراعاتها في هذه المسألة وهي:
١ ـ أن الرؤية أنواع متباينة تبايناً عظيماً لا يكاد ينضبط طرفاها، وبناءً عليه، فإن هذا النوع من الرؤية الذي هو عام للخلائق كلهم، قد يكون ضعيفاً، فلا يكون من جنس الرؤية التي يختص بها المؤمنون.
٢ ـ أنه ليس لأحد أن يطلق القول: بأن الكفار يرون ربهم من غير تقييد، وذلك لأمرين:
أحدهما: أن الرؤية المطلقة قد صار يفهم منها الكرامة والثواب، وفي إطلاقها على الكفار إيهام وإيحاش، وليس لأحد أن يطلق لفظاً يوهم خلاف الحق، إلا أن يكون مأثوراً عن السلف، وهذا اللفظ ليس مأثوراً.
والثاني: أن الحكم إذا كان عاماً، وفي تخصيص بعضه باللفظ خروج عن القول الجميل فإنه يمنع من التخصيص، فإن الله خالق كل شيء ومريد لكل حادث، ومع هذا يمنع الإنسان أن يخص ما يستقذر من المخلوقات، وما يستقبحه الشرع من الحوادث، بأن يقول على الانفراد: يا خالق الكلاب، ويا مريداً للزنا، ونحو ذلك. [انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٥٠٣ ـ ٥٠٤)].
٣ ـ أن الخلاف في هذه المسألة لا يوجب نزاعاً أو فرقة أو مقاطعةً، لأنها مسألة خفيفة، فليست هي من المهمات التي ينبغي كثرة الحديث عنها، ومفاتحة عوام المسلمين فيها، مما قد يوجب تفرق القلوب وتشتت الأهواء، بخلاف اعتقاد رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة، فإن هذا فرض واجب لازم كما دلت عليه نصوص الكتاب والسنة. [انظر: مجموع الفتاوى (٦/ ٤٥٨، ٥٠٢، ٥٠٤)].

الثانية: وهي التي جاءهم فيها في غير صورته التي رأوه فيها أول مرة[١]، وهي المرادة بقوله ﷺ: **(فيأتيهم الله تبارك وتعالى في صورة غير صورته التي يعرفون)**، وقد أنكروا هذه الصورة لأنها مغايرة للصورة الأولى، فهي أدنى منها كما في رواية: **(أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها)**، وقد فعل الله تعالى ذلك امتحاناً لهم، فلما أنكروه عرَّفهم نفسه بالآية التي يعرفون، وهي الساق، فإنه لما كشفه خَرُّوا له سجداً.

وأما الثالثة: فهي التي تحول فيها من الصورة السابقة إلى الصورة التي رأوه فيها أول مرة، وذلك حال سجودهم كما في رواية مسلم: **(فيرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة)**، وهي المرادة بقوله ﷺ ـ في حديث أبي هريرة ـ: **(فيأتيهم الله تعالى في صورته التي يعرفون...)**.

وقد ذهب بعض أهل العلم والحديث كأبي عاصم النبيل[٢]، والدارمي[٣]، عليهما رحمة الله إلى تأويل هذا الحديث وصرفه عن ظاهره:

---

(١) وجاء عند ابن خزيمة (١/ ٢١٥ ـ ٢١٦) ح(١٢٣) ما يدل على أن هذه الرؤية تكون مرتين متتاليتين.

(٢) هو الضحاك بن مخلد بن الضحاك بن مسلم، الإمام الحافظ، شيخ المحدثين الأثبات، كان واسع العلم، ولم يُرَ في يده كتاب قط، حدَّث عن جماعة من التابعين، وحدث عنه خلق كثير، منهم البخاري رحمه الله، وهو أجل شيوخه وأكبرهم، توفي رحمه الله سنة اثنتي عشرة ومائتين (٢١٢)، وقيل غير ذلك.
[انظر: السير (٩/ ٤٨٠)، والعبر (١/ ٢٨٥)، وتذكرة الحفاظ (١/ ٣٦٦)، وتقريب التهذيب (١/ ٤٤٤)، وشذرات الذهب (٢/ ٢٨)].

(٣) هو أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد السجستاني، الحافظ الإمام الحجة صاحب التصانيف، أكثر من الترحال والتطواف في طلب الحديث، أخذ علم الحديث وعلله على علي بن المديني ويحيى بن معين وأحمد بن حنبل، وفاق أهل زمانه وكان لهاجاً بالسنة بصيراً بالمناظرة جذعاً في أعين المبتدعة، توفي رحمه الله سنة (٢٨٠هـ) له مصنفات منها: النقض على المريسي، وكتاب الرد على الجهمية.
[انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٢١)، والسير (١٣/ ٣١٩)، وشذرات الذهب (٢/ ١٧٦)]..

فقد حُكي عن أبي عاصم أنه قال: «ذلك تغيّر يقع في عيون الرائين، كنحو ما يتخيل إلى الإنسان الشيء بخلاف ما هو به، فيتوهم الشيء على الحقيقة»[(١)].

وقال الدارمي في رده على المريسي حين أنكر هذا الحديث واعترض عليه ـ مدعياً أنه يتضمن شك المؤمنين في معبودهم؛ لأنهم يقولون: **(نعوذ بالله منك)**، وذلك إذا أتاهم في صورة غير صورته التي يعرفون ـ: «ويلك إن هذا ليس بشك وارتياب منهم، ولو أن الله تجلى لهم أول مرة في صورته التي عرفهم صفاتها في الدنيا، لاعترفوا بما عرفوا، ولم ينفروا، ولكنه يري نفسه في أعينهم، لقدرته ولطف ربوبيته في صورة غير ما عرفهم الله صفاتها في الدنيا، ليمتحن بذلك إيمانهم ثانية في الآخرة كما امتحن في الدنيا، ليثبتهم أنهم لا يعترفون بالعبودية في الدنيا والآخرة إلا للمعبود الذي عرفوه في الدنيا بصفاته التي أخبرهم بها في كتابه، واستشعرتها قلوبهم حتى ماتوا على ذلك، فإذا مثل في أعينهم غير ما عرفوا من الصفة نفروا وأنكروا، إيماناً منهم بصفة ربوبيته التي امتحن قلوبهم في الدنيا، فلما رأى أنهم لا يعرفون إلا التي امتحن الله قلوبهم، تجلى لهم في الصورة التي عرفهم في الدنيا فآمنوا به وصدقوا، وماتوا، ونشروا عليه[(٢)]، من غير أن يتحول الله من صورة إلى صورة، ولكن يمثل ذلك في أعينهم بقدرته، فليس هذا أيها المريسي بشك منهم في معبودهم، بل هو زيادة يقين وإيمان به مرتين...

ويلك إن الله لا تتغير صورته ولا تتبدل، ولكن يمثل في أعينهم يومئذ، أولم تقرأ كتاب الله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤]، وهو

---

(١) إبطال التأويلات للقاضي أبي يعلى (١/ ١٥٣)، وانظر: بيان تلبيس الجهمية، القسم السابع (١/ ١٩١).

(٢) في النسخة التي اعتمدها المحقق أصلاً: «وبشروا عليه»، وما أثبته أوضح، وهو موجود في بقية النسخ كما ذكر المحقق.

الفعال لما يشاء، كما مثل جبريل عليه السلام مع عظم صورته وجلالة خلقه في عين رسول الله ﷺ صورة دحية الكلبي، وكما مثله لمريم بشراً سوياً، وهو ملك كريم في صورة الملائكة، وكما شبه في أعين اليهود أن قالوا: ﴿إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ﴾، فقال: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧]»[(١)].

ولا ريب أن هذا تأويل باطل مخالف لظاهر هذه النصوص، ويتضح بطلانه من عدة وجوه:

الوجه الأول: أن في حديث أبي سعيد المتقدم **(فيأتيهم الجبار في صورة غير صورته التي رأوه فيها أول مرة)**، وفي لفظ: **(في أدنى صورة من التي رأوه فيها)**، وهذا يفسر قوله في حديث أبي هريرة **(فيأتيهم الله في صورة غير صورته التي يعرفون)**، ويبين أن تلك المعرفة كانت لرؤية منهم في صورة غير الصورة التي أنكروه فيها.

وما ذهب إليه الدارمي من جعل صورته التي يعرفون، هي التي عرَّفهم صفاتها في الدنيا، فغير صحيح، لأنه أخبر أنها الصورة التي رأوه فيها أول مرة، لا أنهم عرفوها بالنعت في الدنيا، ولفظ الرؤية صريح في ذلك.

الوجه الثاني: أنهم لا يعرفون في الدنيا لله صورة معينة، ولم يروه في الدنيا في صورة، فإن ما وصف الله تعالى به نفسه ووصفه به رسوله ﷺ لا يوجب لهم صورة يعرفونها، وقد قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١].

ولو كانوا أرادوا الصفات المخبر بها في الدنيا لذكروا ذلك، فعلم أنهم لم يطيقوا وصف الصورة التي رأوه فيها أول مرة، وقد قال النبي ﷺ في سدرة المنتهى: **(فلما غشيها من أمر الله ما غشي تغيرَتْ، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها)**، رواه مسلم[(٢)].

---

(١) نقض الإمام أبي سعيد على المريسي الجهمي العنيد (١/ ٣٨٦ ـ ٣٩١).

(٢) من حديث أنس رضي الله عنه، صحيح مسلم (٢/ ٥٦٧) ح(١٦٢).

فالله أعظم من أن يستطيع أحد أن ينعت صورته، وهو سبحانه وصف نفسه لعباده بقدر ما تحتمله أفهامهم، ومعلوم أن قدرتهم على معرفة الجنة بالصفات ـ التي ذكرها الله ورسوله ـ أيسر، ومع هذا فقد قال ﷺ: **(قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)**، متفق عليه[1]. فالخالق أولى أن يكونوا لا يطيقون معرفة صفاته كلها.

الوجه الثالث: أن في حديث أبي سعيد ـ المتقدم ـ: **(فيرفعون رؤسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة)**، وهذا نص صحيح صريح في أن الذي يتحول هو الله نفسه، لا أنه تغير في عيون الرائين، كما في هذا التأويل.

وقول الدارمي: «من غير أن يتحول من صورة إلى صورة، ولكن يمثل ذلك في أعينهم» مخالف لهذا النص.

الوجه الرابع: أنه في عدة أحاديث، كحديث أبي سعيد قال: **(هل بينكم وبينه علامة؟ فيقولون: نعم، فيكشف عن ساقه فيسجدون له)**.

وهذا يبين أنهم لم يعرفوه بالصفة التي وصف لهم في الدنيا، بل بآية وعلامة عرفوها بالموقف.

الوجه الخامس: أن تمثيل الدارمي بقوله: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ﴾ [النساء: ١٥٧] لا يناسب تشبيهه بمجيء جبريل في صورة دحية والبشر، وذلك أن اليهود غلطوا في الذي رأوه، فلم يكن هو المسيح ولكن ألقي شبهه عليه، والذي رأته مريم، ومحمد ﷺ هو جبريل نفسه ولكن في صورة آدمي، فكيف يقاس ما رُئي هو نفسه في صورة على ما لم يُر هو، وإنما ألقى شبهه على غيره.

الوجه السادس: أن هذا المعنى ـ وهو التمثيل ـ إذا قصد كان مقيداً

---

(١) البخاري (٣/ ١١٨٥) ح(٣٠٧٢)، ومسلم (١٧/ ١٧١) ح(٢٨٢٤).

بالرائي لا بالمرئي مثل قوله: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِيٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا﴾ [الأنفال: ٤٤]، فقيد ذلك بأعين الرائين، ويقال: كان هذا في عين فلان رجلاً فظهر امرأةً، وكان كبيراً فظهر صغيراً، ونحو ذلك، ولا يقال: جاء فلان في صورة كذا، ثم تحول في صورة كذا، ويكون التصوير في عين الرائي فقط، هذا لا يقال في مثل هذا أصلاً[1].

(١) انظر: بيان تلبيس الجهمية، القسم السابع (١/ ١٩٨ ـ ٢٠٢)، وإبطال التأويلات لأبي يعلى (١/ ١٥٣).